

لا أظن أن هنالك أحداً منَّا لم يسأل نفسه مرة، أو لا يسألها مرات، عن كنه هذه الحياة ولغزها، وعن سرِّها ومبعث سحرها. وعن سبب وجوده بين جنباتها، ومساحة دوره على مسرحها، ومحيط دائرته على مدارها. كما لا أظن أن هنالك من لا يغرق بالتساؤل حول الحكمة التي تكمن وراء كينونته وصيرورته، والفلسفة التي توضح هدف خلقه وأفراد النوع الذي ينتمي إليه من أديم هذا الكون، وتفسر تقلبه وإياهم بين نعيمِ هذه الحياة وجحيمها..

ولا أتصور أن هنالك من لم يجبِ نفسه على بعض هذه الأسئلة أو عليها جميعاً بدون تفكير أحياناً، بأنَّ الله قد خلقنا لكي نعيش وكفى، معفياً نفسه من عناءِ التحليل والتعليل. أو من لا يجيب عليها أحياناً أخرى، بعد تفكير سطحي أو معمَّق، بعبارة "لست أدري" كما أجابها الشاعر المهجري "إيليا أبو ماضي" في قصيدته الشهيرة "الطلاسم" وذلك بعد أن يستعرض مثله الوجود وامتداداته، والخلق وتبايناته، والموجودات وتبدِّياتها، والمخلوقات وتحوّلاتها ليصل إلى ما وصل إليه هذا الشاعر عندما أعياه السؤال، وليردد معه..

"وأراني، كلما أوشكت أدري، لست أدري"

ولا أعتقد بالمقابل، أن هنالك من لا يتلمس بذور الإجابة على تلك الأسئلة من خلال تأمله في مفرداتِ وجوده ووجود من حوله، ومجريات حياتهِ وحياة من يعرفهم، كما يتلمسها في قصيدة الشاعر ذاتها، رغم لا أدريته الواضحةِ فيها، وذلك في المَقطع الذي قال فيهَ:

لو أراد الله أن لا نعشق الشيءَ المليحْ
كان إذ سوَّانا، سوَّانا بلا عقل وروح

كما لا أقدر أن هنالك من لا يتلمس تلك البذور كلما لامس قلبه جمال باد يصادفه، وداعب لبَّه جمال خبئ يكتشفه، وساَور خياله مزيجٌ منهما يحن إليه. كما يتلمَّسها في الوقت نفسه في قصيدة أخرى للشاعر نفسه يقول في أحد مقاطعها:

أراد الله أن نعشق لما أوجد الحسنا
مشيئته.. وما كانت مشيئته بلا معنى

ولا أخمن أن هنالك من يجهل بأن الشيء المليح في رأي هذا الشاعر، وفي رأي كل شاعر بجمال الحياة، ليس هو الشيء البهيّ الوسيم فقط. وإنما هو أيضاً الشيء الصحيح القويم المريح للأحاسيس والمشاعر والذي لا يدفعَ إلى مناصبة الآخرين العداء أو التعامل معهم بنفاق ورياء، وإنما يدفع لأن ننصب معهم جسور السلام، ونبني وإياهم أواصر الود والوئام.. كما لا أخمن أيضاً بأن هناك من لا يدرك بأن الحسن في رأي ذلك الشاعر، ورأي كل شاعر بقدسية الوجود، ليس هو حسن المظهر فَقط. وإنما هو حسن الجوهر أيضاً، الذي لا ينزع إلى التشبيب بالجنس الآخر، والتغزل بمحاسنه، والتودد إليه، والتقرب منه فحسب. وإنما ينزع إلى الانفتاح على كل شيء حسن في الوجود بفكر تأملي، وإلهام وجداني، وصفاء روحاني. والتحليق مع الرؤى الصادقة في سماوات الجمال والجلال سعياً وراء السموّ والكمال اللذين عبر عنهما الأديب المبدع جبران خليل جبران "في مقدمته التي رصّع بها الديوان الأول للشاعر أبو ماض" المعنون بـ "تذكار الماضي" بتوصيفه للشعر والشعور، وللشاعر الذي يحمل لواءهما ويرفع رايتهما بأنه الذي يصعد إلى الملأ الأعلى متمسكاً بحبال الفكر، مالئاً كأسه من عصير خمرة الخيال الذي هو أرق من ندى الفجر. معتبراً إياه الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح..

ومن وحي هذا الخيال الحادي والهادي في الوقت نفسه نشعر مع الشاعرين بالحسن والشيء المليح ومع شعرائهما أيضاً، بأن العقل والروح معاً اللذين هما منبعا الفكر المبدع ومفجِّراه، ومرتعا الوجد الجارف ومربعاه، هما في الوقت نفسه حاميا الحبِّ الهادئ وحاضناه، وناصرا العشق اللاهب ونصيراه.. وأنّهما يكتسبان ألقهما ورونقهما من المشاعر الجليلة والعواطف النبيلة التي تخامر نفوس المتحابين. ويستمدان وهجهما وتأجُّجهما من الأحاسيس اللاهبة والعواطف الصاخبة التي تضطرم في قلوب العاشقين.. وهذا يعني، بشكل أو آخر، أن الملاحة والحسن هما المرادفان المجازيان للعقل والروح، والرديفان البليغان لهما. وأنهما مثلهما يرفدان مفهوم الحب ويصبّان في مجراه. ويعني أيضاً أن الحبّ الحقيقي هو مزيج من تأثير هذه الأقانيم الأربعة على الطرفين الداخلين في مشروعه. وبحيث يتفاعل في الحبِّ الناضج عقل كل طرف وملاحته مع نظيريهما لدى الطرف الآخر. وتتجاذب روح كل طرف وحسنها مع مقابليهما لدى هذا الطرف لتكوّن جميعاً شكل الحب وتلون مضمونه.. وبتعبير آخر تتشارك هذه المكونات الأربعة في إنتاج "أغنية الحب" أو "أغنية الحياة" التي يقوم العقل والملاحة معاً بتأليفها، وتقوم الروح والحسن معاً بتلحينها، وتقوم هذه المفردات الأربع مجتمعة بأدائها دون أن تتيح إحداها للأخرى فرصة الطغيان عليها حتى لا تصبح احتمالات فشل الحب الذي يجمعها أكثر من احتمالات نجاحه..

وعلى هذا الأساس فإن الحسن والشيء المليح، واللذين هما لغة نقيضا الدمامة والشيء القبيح، لا يتبديان في الوجه الصبوح، والجبين الوضاح، والمبسم العذب، والعينين المتلألئتين، والوجنتين المشعَّتين فقط.. ولا في القدِّ الميَّاس، والعود الباسق، والجسد المتناسق، ومظاهر الرجولة الواضحة أو الأنوثة الطاغية فحسب.. فهذا كله جانب منهما وطرف لهما، وهو جانب مطلوب وطرف مرغوب، ولكنه ليس الأوحد ولا الأهم في علاقة الحب وصلات المودة التي تقوم بين العاشقين. لأن لكليهما جوانب وأطراف أخرى يكسبها العقل طابعها وتعطيها الروح بصمتها. وهي على درجة كبيرة من الأهمية قد توازي الجمال وتباري مفرداته الشكلية وتتفوق عليها بمراحل ومراحل.. فجودة التعامل مع الطرف الآخر، وبراعة التفاعل معه، وملاحة التحاور وإيَّاه، وحلاوة انتظار وصاله، وطلاوة التلاقي معه، ومتعة النظر وإياه باتجاه واحد، ولذة

السعي معاً لأهداف محددة، وروعة عمل كل طرف بأسلوب متناغم على إسعاد وإرضاء الطرف الآخر والحفاظ على مشاعره.. هي جميعاً التي تعطي الحياة المشتركة بينهما معناها وتكسبها مغزاها. وهي الأدوات التي تشق أمام الطرفين الدروب والتي تفعل فعلها في جعل نغمات الطيوب تسيطر على نبضات القلوب. وهي بالتالي التي تظهر حكمة الخالق وتجلي فلسفة الخلق..

والحب بوصفه الشعور الفطري المغروز في أعماق النفس البشريَّة، وبعدِّه مشعل الحياة ونعمتها، ورفيق وجهها المليح، لا يلبث أن يتحولّ إلى موقد خامد لها، ونقمة عارمة على مسارها، إذا لم يضع من ينبض به قلبه شعلة الحق نصب عينيه في كل حركاته وسكناته. وهو بكونه نفحة هذه الحياة وطيبها، والنفخة التي أحالت إحدى أنواع كائناتها الحية إلى مخلوقات بشرية ذات سمات إنسانية، تميزها الروح الوثابة المحفزة على تطبيق العدالة، والتمسك بالكرامة. ويتوجها العقل الحاث على التطور والارتقاء، لا يلبث أن يتحول من نفحة واهبة إلى لفحة لاهبة، إذا لم يضع من تتدفق مشاعره في وجدانه رفعة روحه وسموّها نصب عينيه في كل لفتاتها وطرفاتها. ولا يتوانى أن يتحول من نفحة للارتقاء إلى ردّة للانكفاء، أو ما يشابه نفخة الصور يوم النفور عند تخلخل الموازين وزعزعة المعايير وضعضعة الجسور..

والحب بهذا المعنى ليس مجرد علاقة بين طرفين من جنسين مختلفين كما هو متعارف عنه فحسب، وإنما هو علاقة بين الناس وبعضهم على اختلاف أجناسهم ومشاربهم وعروقهم ومراتبهم من ناحية، والعلاقة بينهم وبين كل ما يؤمنون به وينجذبون إليه من ناحية ثانية. سواءً أكانت تلك العلاقة معنوية تتصل بمقدساتهم ومعتقداتهم، كحب الإله ورسله وكتبه وتعاليمه، وحب الوطن والعائلة والقيم السامية والمثل الفاضلة. أم علاقة مادية تتصل بممارساتهم الحياتية العليا أو الدنيا كحب العمل والصداقة والطيبات، أو حب المباذل والمساخر والشهوات..

ويطلق على الحبِّ الذي يتعدى علاقة الجنسين ببعضهما إلى علاقات أعمَّ وأشمل وبنوعيها المعنوي والمادي اللذين أشرنا إليهما اسم "المحبة" تفريقاً له عنها وتحديداً لها عن طريقه. وارتكازاً على ذلك، تعدُّ المحبة بمنزلة شقيقة للحب ومعبرة عنه في العلاقات العامة، باعتبار أنها مؤنثة اللفظ، وأن الجنس الأنثوي أكثر انفتاحاً بحكم تكوينه الفطري على العواطف الغيريَّة الصادقة. بينما يعتبر الحبُّ شقيقها والممثل لها في العلاقات الخاصة، وباعتبار أنه مذكر اللفظ، وأن الجنس الذكري أكثر انغلاقاً وبحكم ممارسته العملية على العواطف الذاتية الخالصة..

ومن هذا المنطلق، وإذا ما انتقلنا إثر تحديد المفاهيم المتعلقة بهاتين العاطفتين النبيلتين إلى رحاب المجتمع الواسع. وحاولنا استعراض الصيغ الملائمة التي تؤسس لمجتمع حبٍّ أسري يقوم على الإلفة والمودة كخطوة لا غنى عنها للوصول إلى مجتمع المحبة الخارجي الذي يقوم على التعاون والتضامن.. وإذا ما انطلقنا من خط البداية الذي يشكل الطهر شريطه الحريري ذا الخيوط الوردية، والذي يؤدي الإشهار عن قصِّه إلى الانضواء تحت لواء نظام الزواج بكونه نظام الالتحام الوحيد بين الجنسين الذي تقرُّه المجتمعات المحافظة، والذي نتمنى أن يظلَّ النظام الأوحد للالتحام بينهما فيها، وأن لا تصيب العولمة هذه المجتمعات بحمى تقليد طرائق التحلل من هذا النظام المنتشرة بدرجات متفاوتة في المجتمعات المنطلقة التي تحاول تسويغ ذلك التحلل عن طريق التفنن في إغناء معطياته كما تعمل على تسويق مفرداته عن طريق الترويج لمخططات الدولة العظمى الذي تنادي به وتسعى إلى فرضه..

ولدى تنحية شبح العولمة ونظمها جانباً، والتمسك بنظام الزواج السائد حاليا، نجد أن استمرار سيادة هذا النظام مرتبط بدرجة السعي الجماعي إلى تثبيت أركانه

وتقوية أواصره، وبدرجة القدرة الجمعيّة على تذليل العقبات القائمة في وجه من يريد الانضواء تحت لوائه، وبخاصة العقبات الاقتصادية التي تلعب الدور الأكبر في زيادة نسبة العازبين والعازبات بشكل كبير في هذه المجتمعات أو في تأخير سن الزواج حتى عمر السادسة أو السابعة والثلاثين لدى كثير من الأسر التي لا يتمكن الأبناء فيها من الاستقلال الاقتصادي الذي يساعدهم على تكوين أسرٍ خاصة بهم قبل هذا العمر..

ولعله من الناسب أن نعرض هنا بعض التجارب والأمثلة التي يمكن الاستفادة منها عند التفكير الجدي في تذليل العقبات التي تواجه الزواج، بعضها قديم من حضارات بادت أو من حضارات ترفض الاحتضار وتسعى لإعادة الحضور، وبعضها الآخر حديث ومعاصر، وهو مجرد اقتراح من بعض المهتمينِ في هذا الموضوع الشائق والشائك في آن معاً..

والمثال القديم نسوقه من الحضارة البابلية القديمة في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد إذ كان يجري تحديد سن معينة للشباب المرشحين للزواج حسب ترتيب ثراء أسرهم، والفتيات المرشحات حسب درجة جمالهن. ثم يبدأ بتزويج الفتيات الجميلات للشبان الأغنياء بعد تقاضي مبلغاً من المال منهم توزع حصيلته على الشباب الفقراء الذين ينبغي عليهم الزواج من الفتيات غير الجميلات.. وهذا الحل وبرغم كونه طبقياً وقاسياً ولا يأخذ عاطفة الحب بعين الاعتبار لكنه بالنتيجة لا يبقى أحد من غير زواج.. وقد لجأت بعض الحضارات القديمة إلى أساليب أخرى كما يقول المفكر الراحل "هادي العلوي" في كتاب "فصول عن المرأة" ففي الصين تعالج فكرة عنوسة النساء بالتشجيع على زواجهن من رجال يكبروهن في العمر لعدم تعليق مصائر الفتيات على أهواء الشبان ولأن الزوج المسن يداري المرأة ويحافظ عليها أكثر من الزوج الشاب بوجهة نظرهم. ولم يقصد قدماء الصينيين بالزوج المسن الهرم وإنما قصدوا التساهل عندما يكون الفارق في العمر بين الرجل والمرأة بحدود العشرين سنة..

وأما الإسلام فاعتبر تزويج البنت البالغة من السنة آخذاً بعين الاعتبار حاجاتها الجنسية، وكان المحسنون يسهمون في تزويج العازبات، ويعتبرون إسهامهم المادي في ذلك مكافئاً لأموال الزكاة. وقد كان للمطلّقات أو للمترمّلات فرص وافرة للزواج في القرنين الأوّل الثاني الهجري. وكانت المرأة عموما خلال هذين القرنين لا تبقى بلا زواج إذا شعرت بأنها بحاجة إلى رجل كما يقول الجاحظ في "رسالة عن النساء" والتي يذكر فيها أن أهل زمانه، أي أهل القرن الثالث الهجري، جعلوا زواج المطلقة أو المترمّلة عاراً بخلاف أسلافهم..

وأما الاقتراح المعاصر لمواجهة العنوسة، والذي طرحه بعض المفكرين "كسلامة موسى" في كتابه "المرأة ليست لعبة الرجل" ويطرحه مفكرون آخرون أيضاً وبشكل خجول، فهو يقوم على السماح بزواج الشبان والفتيات الذين لا تسمح أوضاعهم المالية بفتح بيوت مستقلة، ولا تسمح أوضاع عائلاتهم المعاشية بإسكانهم معهم، مع بقائهم في منازل أهاليهم ريثما يستطيعون من تكوين أنفسهم مادياً للانتقال إلى مسكن خاص بهم. شريطة عدم إنجابهم للأبناء خلال فترة بقائهم في مساكن أهاليهم عن طريق استعمال موانع الحمل الحديثة..

ويظل هذا الحل أفضل من بقاء الشباب من غير زواج أو من لجوئهم إلى طرائق أخرى لتلبية احتياجاتهم وهو وإن كان يشابه الشكل الشائع في الارتباط في المجتمعات الغربية لكنه يختلف عنه بكونه يعطي للارتباط بين الجنسين، في ظل الاختلاط الذي تفرضه طبيعة العصر، مشروعية دينية ومدنية. ويسد الطريق أمام العلاقات التي يمكن أن تجري بالخفاء بإشهارها وإتاحة الفرصة لها للبقاء والنماء..

وفي كل الأحوال، وفي ظل نظام الزواج القائم، تشكل العلاقات الاقتصادية غير

المتوازنة أحد أهم الأسباب التي تؤثر على الجوانب الأخرى للعلاقات الزوجية، وتهز بشدة علاقات الحب الأسرية في هذه المجتمعات. وإذا لم تتخذ إجراءات جذرية وفعلية ستستمر هذه العلاقات بالتدهور لأن منطق الأمور يقود إلى أن صوت الحاجة يعلو على صوت العاطفة وأن لغة القلوب هي صدى للغة الجيوب..

ولكن، عند اعتبارنا وإيماننا، بأن المهمة الرئيسية للحب هي تحسين الحاضر وتحصين مواقعه تعلقاً بأمل الخير في المستقبل. وأنه وإن كانت يومياته الآن مليئة بالمضايقات والخيبات فإن الانتصارات الكبيرة هي هدف المستقبل وغايته. وأنه من يشعر بالحب قادر على كل شيء لأن الحب نفسه قادر على تعويضه عن النواقص الأخرى. وأما من لا يشعر به فهو غير قادر على القيام بشيء ذي معنى لفقدانه الحافز على ذلك..

وفي ظل هذا الاعتبار والإيمان نرى بأنه يمكن إيجاز المقومات الرئيسة لتنمية شعور الحب في العلاقات الأسرية القائمة بعوامل ثلاثة هي الصدق، والصداقة، والمصادقة. وأن جميع المقومات الأخرى لهذه العلاقات ببنودها العديدة وتفصيلاتها المديدة تنبثق من هذه العوامل وتصب فيها.

والصدق هو أول سطر في كتاب الحب. وهو الذي يعطي الحب مصداقيته ويكسبه قداسته ويضفي عليه حرمته. بينما الصداقة هي الترجمة العملية للصدق والتطبيق الفعلي له، وهي الأسلوب الذي ينبغي أن يتعامل الشريكان على أساسه دون أن يفكر أحدهما بامتلاك الآخر أو احتوائه. وأما المصادقة والتي هي التعبير البديل أو الرديف للموافقة أو لتناغم القيم فهي المقياس الذي ينبغي أن يختار كل طرف الآخر على أساسه لأنها الموضوع الرئيس الذي تدور حوله حياة الشريكين بجميع مفرداتها واللغة اليومية التي يستخدمانها في التعامل والتفاهم. وكما يختار الإنسان أصدقاءه على أساس القيم المشتركة التي تشدُّه إليهم والتي تتركَّز في صدق التعامل والموافقة أو المصداقية خلال التواصل كذلك ينبغي أن يكون اختياره لشريك حياته بالمقياس نفسه. والفارق الأساسي بين الاختيارين هو الدفء الخاص الذي يحول الصداقة إلى حب. والجنون اللذيذ الذي يحول الحب إلى زواج. والاندماج الجسدي الكامل المتوافق مع الاندماج الروحي الشامل الذي يحول الزواج إلى متعة وسعادة حقيقيين..

والصدق هو، أو ينبغي أن يكون، العامل المشترك بين العلاقات الأسرية والعلاقات المجتمعيَّة وهو شعبة من شعب الإيمان، أو هو عنوان الإيمان ورمزه. والله تعالى يحثنا دوماً أن نكون من الصادقين. والعقيدة تمنعنا أن نكون للكذب دعاةً أو رواة. وبالقدر الذي تتَّسم فيه العلاقات الاجتماعية بالصدق، بالقدر الذي يأخذ فيه المجتمع بالارتكاز على أحد مقومات الحبِّ الثلاث التي أشرنا إليها. بينما لا يتمكن الحب من توسيع رقعة الارتكاز على المقوِّمين الآخرين اللذين ترتكز عليها أسرة الحب كما أسلفنا. ذلك لأن صداقات الأفراد مع الآخرين محدودة في المجتمع بينما معارفهم تفوق صداقاتهم بشكل واضح. وكذلك فإن القيم قد تتباين وتتفاوت بين أفراد المجتمع بتباين ثقافاتهم وتفاوت انتماءاتهم لذلك يصعب المصادقة عليهما جميعاً من قبل المجتمع بأكمله. وبالقدر الذي تكون فيه هذه القيم متقاربة وليست متضاربة ومتسايرة وليست متغايرة، بالقدر الذي يكون فيه المجتمع متماسكاً ومتناسقاً. ومجتمع الحب هو الذي تصبُّ فيه جميع هذه القيم في مجرى واحد دون أن يحاول بعضٌ منها من اتخاذ مجارٍ منفردة. والذي تتفاعل فيه هذه القيم لتشكلَ تياراً دافقاً يولد القوة ويهيِّئ أسباب النماء لجميع أفراده وبدون استثناء..

ويتميز مجتمع الحب أيضاً، فضلاً عن ما ذكرناه، بارتكازه على مقوِّمين رئيسين يحلان محل مقوِّمي الصداقة والمصادقة في علاقات الحبِّ الأسرية ويعملان على معادلة

النقص فيهما ليصبح مجتمع الحب امتداداً للمجتمع الأسري وليس نقيضاً له..

والمقوِّم الأول هو الذي يتعلق بمبدأ الوسطيَّة الذي نصت عليه عقيدتنا السمحة بشكل صريح وتميزت فيه عن غيرها بشكل لا يحتاج إلى مزيد من التوضيح. لكنه ورغم هذه الصراحة وذلك الوضوح لم يأخذ من اهتمام السلف كما لا يأخذ من اهتمام الخلف الأهمية التي يستحقها ولا يوضع في المكان الذي ينبغي أن يرتقيه في الوقت الذي أخذت به المجتمعات الأخرى وأرست تقدُّمها على أساسه وبنت حضارتها على هداه. بينما تمَّ توجيه هذا المبدأ، وعلى مدار التاريخ، إلى أمور عامة وعائمة في المجتمعات التي تنتشر فيها هذه العقيدة دون التركيز فيها على مبدأ الوسطية الاقتصادية التي نعتقد بأنها تقع على قمة الوسطيات الأخرى التي عمل ولا يزال يعمل البعض إلى تجيير هذا المبدأ لصالحها عن طريق تفسيرهم لها تفسيرات لغوية رنانة لا تغني ولا تسمن من جوع لكونها لا تترجم إلى وقائع ملموسة وممارسات محسوسة. كقولهم بأنها تعني التوسط بين المادة والروح وبين اللين والغلو وبين الإفراط والتفريط دون أن يعطوا اهتماماً ملحوظاً للإفراط في الدخول والتفريط في منع الحصول على ما هو معقول منها لتأمين حياة حرة كريمة. بينما أخذت الدول المتقدمة بهذا المبدأ وجعلته دستوراً لها وحامياً لأسس تقدمها. إذ نجد بأن نسبة الطبقة المتوسطة فيها تتراوح بين الثمانين والتسعين في المائة. بينما تتوزع نسبة العشرة أو العشرين بالمائة الباقية بين الأثرياء والفقراء، والذي يقارب مستوى الفقراء منهم مستوى متوسطي الدخول في كثير من الدول المتخلفة مع سعي هذه المجتمعات المتقدمة باستمرار إلى رفع نسبة هذه الطبقة المتوسطة من جهة، كاليابان التي تسعى إلى جعل نسبتها خمسة وتسعين في المائة بدلا من تسعين مع سعيها من ناحية أخرى إلى رفع مستوى الدخل لدى هذه الطبقة والذي يربو في هذه الدولة عن ثلاثين ألف دولار للفرد في السنة ويزداد باطراد سنة بعد أخرى. بينما تزداد نسبة الطبقة الفقيرة عن ثمانين في المائة في بعض الدول المتخلفة ويقل دخل الفرد في العام في بعضها كبنغلادش عن أربعمائة دولار في العام محققاً انخفاضاً ملحوظاً عاماً إثر عام..

ولعل عدم الأخذ بمبدأ الوسطية في الدول المتخلفة هو الذي يحول دون نماء مبدأ الصداقة بين أفراد المجتمع. إذ أن الأخذ بمبدأ وسطية الدخول هو الذي يوصل إلى الوضع المليح الذي هو الوضع الصحيح والوضع المريح. كما يوصل في الوقت ذاته إلى نماء الصداقات وتقليص العداوات بين أفراد المجتمع وتقريبهم من بعضهم بشكل مشابه للتقارب الموجود بين أفراد الأسرة الواحدة. فضلاً عن أن الأخذ به يساعد على حل أغلب الخلافات والمشاحنات التي تحصل داخل الجدران التي تضم الأسر في المجتمع كما أسلفنا، وذلك بتلبية الاحتياجات الحياتية الضرورية مما يمهد للحب أن يصول ويجول ويصبح الآمر الناهي ويجعل أسرة الحب جديرة بإطلاق هذا الاسم عليها..

والمقوِّم الثاني هو الذي يتعلق بمبدأ العقلانية الذي نصت عليه عقيدتنا السمحة أيضاً بمواقع كثيرة في الكتاب الكريم وبصيغ متعددة منها ألا يعقلون وألاّ يتفكرون وألا يتدبرون..

ولكنه ورغم هذه النصوص الواضحة أيضاً نجد أن الجهل الناجم عن عدم استخدام العقل هو الأمر المسيطر على أغلب المجتمعات المتخلفة بدليل أن نسبة الأميَّة فيها هي الغالبة. وأن تجيير التفكير لدى معظم أفراد هذه المجتمعات إلى القلة التي تقوم باستخدام عقولها فيها هي السمة البارزة عليها، وأن هذه القلة تتوزع بدورها إلى فئتين. الأولى من أصحاب الأهواء المنحرفة أو الميول المتطرفة التي تنحرف بمن يتبعها عن الطريق السليم، وتنحو وإياهم إلى التمسك بالقشور وعدم إيجاد الحل الميسور. والثانية من أصحاب العقول الموضوعيين والذين ينتشر قسم منهم في مجتمعات خارجية أجرت عمليات غسيل

لعقولهم وميولهم ويتناثر قسم آخر منهم في مجتمعاتهم دون أن يتاح لأغلبهم المشاركة في التغيير أو التطوير..

وعقلنة المجتمع تعني بأبسط تعاريفها تسليم العقل زمام القيادة عربة تطوره والتي يشكل القانون محركها والنظام وقودها وتحتل مصلحة الوطن المقعد الأمامي منها ومصلحة المواطنين المقعد الخلفي فيها وإتاحة الفرصة أمام لغة هذا العقل لتحديد مسارها ولتحقيق هاتين المصلحتين المترابطتين عن طريق تمكين أصاب الكفاءات من الحوار الهادئ لإقرار الأسس الكفيلة بسلوك الطريق الأقصر والأيسر لبلوغ المحطة الهدف. وبمعنى آخر استعمال هذه اللغة للارتقاء بالنصوص القانونية والعمل على تفعيلها وصيانة حرمتها وتحسين أدائها لوظائفها وتحقيق تكافؤ الفرص بوساطتها. وتعد العدالة الاجتماعية المحطة النهائية أو محطة الوصول لهذه العربة. وهي في الوقت نفسه المحصلة الحتمية لذكورة القانون بمعنى جدِّية بنوده وقسوة أحكامه نتيجة لعقلانية لغته. ولأنوثة الوسطية بمعنى دقة مفرداتها ورقة تركيبها نتيجة لعاطفة لغتها. ولكون العدالة الاجتماعية هي النتاج الطبيعي لاقترانهما ببعضهما.

وعن طريق هذا النتاج يمكن تحسين مختلف جوانب المجتمع بدءاً بتسهيل إجراءات التقاضي وتحسين ظروفه، ومحاسبة المتجاوزين على حرمته. مروراً بحسن مراقبة ومحاسبة المتجاوزين في القطاعات العامة والخاصة. وصولاً إلى تنظيم ظروف العمل العامة والخاصة، وتحسين دخول العاملين بالأعمال العامة وتقنين دخول العاملين بالأعمال الخاصة وقوننة الأرباح بها بعد إقرار الأسس الكفيلة بالالتزام بالتسعيرة وتحديد الضريبة وتحسين أدائها وتطلعاً إلى رفع نسبة الطبقة المتوسطة باستمرار والارتقاء بمستوى دخلها بشكل متواتر.

وتبين النكتة التالية مدى التندُّر بإغفال استخدام هذه العقول في الدول المتخلفة حيث تقول بأن تاجراً خبيثاً افتتح مكتباً في إحدى العواصم الغربية لتأجير أصحاب العقول للآخرين لحل مشاكلهم العويصة ولوضع الإجابات المناسبة على أسئلتهم المعقدة. وأنه استخدم في مكتبه عقلاء من مختلف الجنسيات، وحدد أسعاراً ساعيَّة لكل منهم استناداً على جنسيته وتخصُّصه فوضع ١٠٠٠ دولار بالساعة لصاحب العقل الفرنسي و ٩٠٠ لصاحب العقل الإنكليزي و ٨٠٠ لصاحب العقل الروسي و ٧٠٠ لصاحب العقل الألماني و ٦٠٠ لصاحب العقل الياباني و ٥٠٠ لصاحب العقل الأمريكي بينما وضع تسعيرة تتراوح بين ٥ - ١٠ آلاف دولار في الساعة لأصحاب العقول من الدول المتخلفة من أفريقيا وآسيا ومناطق أخرى من العالم وبحيث كان أعلاها سعراً أكثرها تخلفاً. ولدى سؤال أحد المتعاملين صاحب المكتب عن سبب الارتفاع الكبير لأسعار عقول هذه المجموعة بالموازنة بأسعار عقول المجموعة الأولى أجابه بمكر لأنها إما أن تكون عقول جديدة لم تستخدم بعد أن أنها استخدمت استخداماً خفيفاً لم تستهلك فيه طاقاتها بشكل كبير..

والعقلانية، بعد ذلك أو قبله، هي الأسلوب الأنجع لتلافي الأزمات أو لمجابهتها عند وقوعها. وهي الطريق الأسرع للارتقاء بالمجتمعات وتحسين أوضاعها. وهي تعني تجميع عقول أفراد المجتمع عن طريق تجميع عقول ممثليهم في بوتقة واحدة لتشكل عقلا جمعيًّا يوحد القيم ويشحذ الهمم، ويسعى للوصول بهؤلاء الأفراد إلى أعلى القمم. وهي التي توصل إلى المجتمع الذي تختلط محاسنه بحسناته وينبي مظهره عن جوهره بشكل مشابه لمجتمعات الأسر المتحابَّة ومجتمعات القيم المتناغمة والأفكار المتوائمة والتي تفسح الطريق للحب أن يسرح ويمرح بين جنباتها وبشكل يستحق معه أن يطلق عليه اسم مجتمع الحب والمحبة.

ومن وحي هذا المجتمع ومجتمع الحب الأسري الذي يؤسِّس له. وباستلهام الآمال الكبيرة والكثيرة التي تساور الخواطر والأفكار كانت القصيدة التالية التي نختتم بها هذا الحديث:




مجتمع الحب والمحبة ...

شعر : م. كمال راغب الجابي

(١)

ما أروع أن نكون
آباءً للحبِّ والمحِبة
وأن تكون شريكاتُ حياتنا
أمهات لهما
وأن يصبحَ ابننا الحبُّ
قلبَنا الكبيرَ
وروضَنا النضيرْ
وأن تصيرَ ابنتُنا المحبةُ
عقلنا البصير
وضوءنا المنير
وما أبدِع أن يوقظَنا
ابنُنا الحبُّ
كلَّ صباح
بلمسة حانيةً
ناعمة كالحرير
ويضعَ علی شفاهنا
قبلةً مطيَّبةً
مضمخةً بالعبير
وينفخَ في صدورنا
نسمةً منعشةً
تعيدُنا للحياة
وتثير شهيَّتنا
لوداع ليلٍ مدبر
واستقبال فجرٍ مغيَّرْ

وما أمتع أن يشاركَنا
مع أخته المحبة
بشرب قهوتنا
وقراءة جريدتنا
ومزجِ زبدة فطورنا
بعسل المودَّة
ذي النكهة المميَّزة
والفعل المثير
وأن يستأذننا بعدها
ليستأنف مهامه
كطائر مغرِّد
وعاشقٍ أسيرً
موصياً إيَّانا
بأخته ورفيقته
وبشوقها الآسر
وتوقها الطاغي
وحلمها الأثير
فنطمئنهُ ونحن نغمرهُ
بهمسات محملة
بدعاءٍ كثير
متمتمين في وله:
فليأخذ الله بيدكَ
وليرضى عليك
يا ابننا وحبَّنا
يا أيها الأمير







(٢)

وما أحلى أن تتهادى
ابنتنا المحبة
أمامنا في بهاءْ
وأن تنسابَ علينا
انسياب النورِ
في قناديل المساء
وتنسكب فوقنا
انسكاب الغيث
في أشهرِ الشتاء
وتحلّ بيننا
حلول الشعر واللحن والغناء
وتتحلق حولنا
بودٍّ وبراءة
كالحقِ والروح
والملاحة والحسن
وباقي عطايا السماء
وهي ترتدي البساطة
وتأتزر بالأصالة
فيظهران عليها
كأبهى إزارٍ
وأزهى رداء
وما أجدى أن نبادرها
أو أن تبدأ هي بمحاورتنا
مبديةً رغبتها
وحرصها على مسامرتنا
إلى أن يعود أخوها
في أيِّ وقت يشاء
أو أي ظرفٍ نشاء
وأن نبديِ نحن استعدادنا
وندعوها لمساعدتنا
في استلهام الحلول
لمعاناة المستضعفين
المعذّبين في الأرض
والنازفة جروحهم
صباح مساء
وما أحلى أن تشير بحكمةٍ
وإيجازٍ وتركيز
إلى أولويةِ الدعوة
لصحوة العقل
وضرورة تسليمه
زمام القياد
وعدم تجييره
لمصلحة الخبثاء
وأن تؤكدَ بثقة
وتشجيعٍ وتحفيز
على منحةِ الصلاحية
لإقرار الوسطية
كقانون للحياة
ومنهج للمؤمنين
كي لا يظلوا أدعياء







(٣)

وما أجمل أن يستلل
ابننا الحب
في آخر النهار
وعندما يأتي المساء
وحين يلتئم الشمل
على مائدة العشاءِ
بعد يوم طويل
مليء بالأخذ والعطاء
كما سبق أن فعل
في الصباح الباكر
وخلال فترة القيلولة
وأثناء تناول الغذاء
وأن يأخذ مكانه
بجوار أخته
بشوقٍ وودٍّ وصفاء
ويقوم بمداعبة شعرها
فتضمُّه إلى صدرها
وتربتُ على كتفيه..
وتتحسسُ عضلات ساعديه
لتستمدَّ منهَا
القوةَ والعزيمةَ والمضاء
وما أجدر أن نتابعهما
ليس بالإكتفاء
برفع حاجبِ الدهشة
لدى إبدائه لعلائم التبرم
وأمارات خيبة الأمل
لحصر تجليَّاته
بالحسِّي من الرغاب
والماديَّ من الأشياء
بل بإظهار العزم
والاستعداد للكفاح المرير
لاستعادة السطوة
لقيم العشاق والأحباب
ومشاعر السمو والارتقاء
وليس بالاكتفاء
برسم ابتسامةِ النشَوة
عند نثر ابنتناَ المحبة
للآمال العذاب
بكرم وسخاء
بل بمشاركتها
في إعداد الحملة
وتجهيزها بجميع المستلزمات
ودعمها بالعلم والخبرة
لإرسالها إلى مختلف الأرجاء
بعد استلهام الرحمة
وباقي المفردات..
من أخيها القدير
الفارس والحارس
والعاشق والواثق
والممتلئ بالإباء





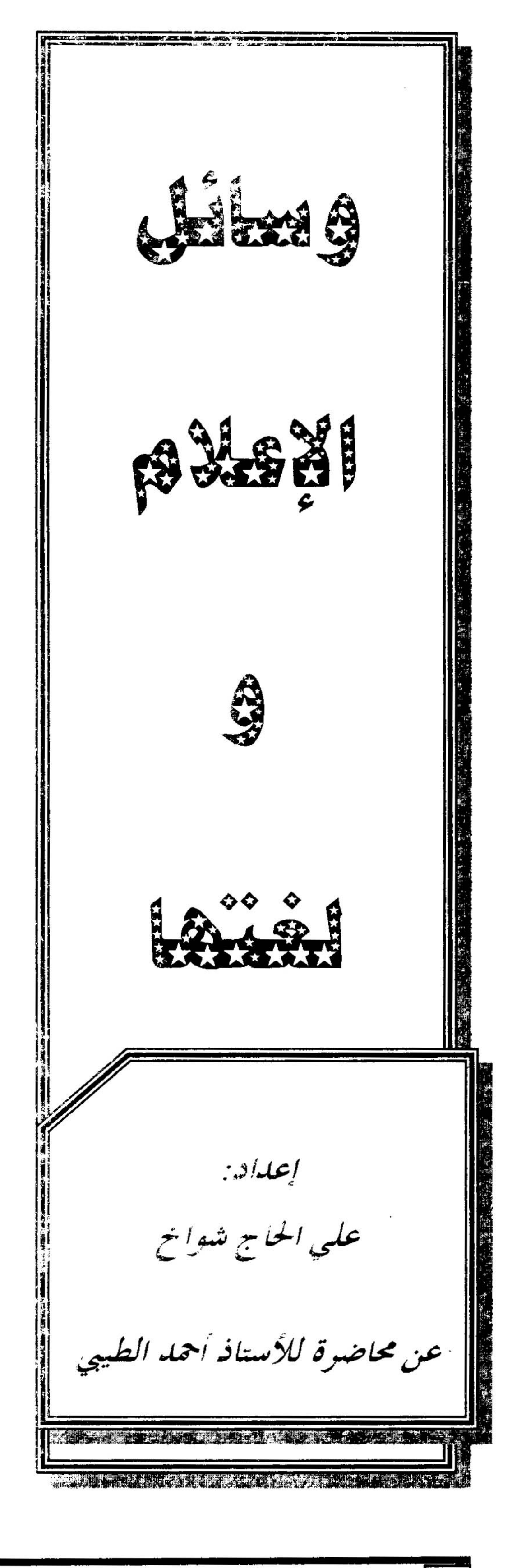


(٤)

ما أقسى أن تتالى
إثر تناول الطعام
على الشاشة الصغيرة
حكايات مليئة بالأرزاء
وحافلة بالآثام
بعضها يدور حول العولمة
وما تحمله من هيمنة وقرصنة
بمفهوم الأنكل سام
وقسم منها يمالئ بفخار
ويحاكي بدون استحياء
وبوجد وهيام
ممارسات الشعب المختار
ومعظمها يزن الأمور
بالدولار والدينار
وبالأصفر الرنَّان
ويغض النظر
عن باقي الأركان
بما فيها..
إنسانية الإنسان
وما أقوى أن يمدَّ ابنانا
يديهما إلى بعضهما
بحزمٍ وأمل وثبات
ويمداها إلينا..
بعزمٍ وبأسٍ ورجاء

بعد أن يتبادلا معنا
نظرات مليئة بالحسرات
ومشحونةً بنيةِ التصدي
لهذه التحديات
وما أشهى أن يتوجَّها بعدها
معنا ومع شريكاتنا
ليضعانا في أسرَّتنا
وأن تقوم إبنتنا المحبَّة
بتوديعنا برقَّة وحنان
قبل أن تغادرنا
إلى موقعها الأثير
في الفضاء الممتدِّ
امتداد صوت الوجدان
وعبق الريحان
وأن يضمُّنا ابننا الحبُّ
برغبة ولهفة وافتتان
ويضعَ على شفاهِنا
قبلاً عميقة
بعمق الزمان
وعمق المكان
فنعانقه ونقول له
ولأخته الحالمة بالأمان
بصوتٍ عاشقٍ ولهان
تصبحا على خير
يا شوقنا وتوقنا
يا أيها الإبنان





قيل قديماً: في البدء كانت الكلمة.. والكلمة تلازم الإنسان كتعبير وحركة وهي للإنسان كما الغذاء.. ومن هنا كان حق الإنسان في الكلمة سواء كانت مسموعة أم مكتوبة أم مقروءة..

وكما قيل أيضاً: القول ينفذ ما لا تنفذه الإبر.. ورب كلمة أنفذ من طعنة.. فالكلمة إذا نزلت على الميدان نبتت لها أزرع وسيقان وأقدام.. والإنسان يحب أن ينقل الكلمة وأن تنقل إليه الكلمة. ويجب أن يتثقف وأن يشارك الآخرين مطالعاتهم وآرائهم..

والإعلام ليس جديداً في أصوله فطالما عرفه رجال السلطة في العصور الغابرة.. ففي البدء وقبل اختراع الكتابة عرفت البشرية النقل الصوتي للأخبار عن طريق المنادي والرواة والشعراء. ثم عرفت البشرية النقل الخطي المكتوب باليد بعد اكتشاف الكتابة. وكان توزيع المخطوط محدوداً لقلة عدد القادرين على القراءة وكذلك نسب الذين يهتمون بالقضايا العامة. وبعد اختراع الكتابة عرفت البشرية "الخبر المطبوع" وكانت استجابة لحاجة ملحة ومتطورة ولازدياد عدد المتعلمين والمهتمين بالقضايا العامة.

والإعلام هو الجناح الذي يحمل الكلمة وهو ظاهرة اجتماعية ومن هنا يبدو بوضوح أن الإعلام حاجة ضرورية لكل مجتمع ودولة لأنه أصبح جزءاً لا يتجزأ من البنيان الاجتماعي والسياسي. وهو رسالة خالدة ومقدسة إذا أحسنت إدارتها وتوجيهها واستخدام أقصى إمكانيتها وإلا فإنها تغدو طبلاً أجوف يصم الآذان ورماداً يذرف في العيون وآلة تخرب العقول، فالعملية الإعلامية هي عملية اجتماعية تشمل نواحي الحياة كافة ولا تقتصر على النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، والإعلام عملية إيصال واتصال بين المجموعات المختلفة حيث تجري عملية تبادل المعلومات والآراء والمواقف من خلال وسائل الإعلام المتعددة من أجل إعادة صياغة المواقف وتقويمها بهذا الاتجاه أو ذاك تبعاً لما تخلفه عملية الاتصال والإيصال من آثار ونتائج جديدة نتيجة نقل المادة الإعلامية

بمحتوياتها المختلفة إلى المجموعات المستقبلة.

فالإعلام بمفهومه الواسع هو عملية جمع المعلومات وتبادلها ونشرها، واستخدام العلم الحديث في عملية الجمع والتصنيف والإخراج واستخدام التكنولوجيا الحديثة في عملية الإيصال للجمهور المعني واستقبالها واتباع الأسلوب المناسب نفسياً واجتماعياً لعرضها ومحاولة إقناع الجمهور المخاطب بها.

إن للإنسان حق التفكير وحرية التعبير وأمرهما مفروغ منه لأنه من نعم الوجود كون التفكير طليقاً ولا يستطيع أحد حبسه.

وبما أن التفكير مرهون باللغة ولا يصح من دونها لذلك لا بد للإعلام من استخدام اللغة بشكل أساسي إلى جانب وسائل أخرى مساعدة كالصورة والأرقام البيانية والموسيقى حيث تشترك كل هذه الوسائط في العملية الإعلامية.

ولكي يكون للإعلام أثره المطلوب في الجماهير لابد من التعرف على اللغة التي يستخدمها في عمله وتتمثل هذه اللغة أساساً في إشارات منطوقة أم مكتوبة أم مصورة تمر عبرها الرسالة الإعلامية إلى الجمهور ولا يتم الإعلام الكامل إذا لم يجد رجل الإعلام اللغة الملائمة للتعبير عن المعلومة أو الفكرة أو المشهد بحيث تصل الرسالة إلى أكبر عدد ممكن من الناس، أي أن تكون الرسالة بأسلوب الفهم العام والدلالات الواضحة والبساطة وعلى مستوى إدراك الجمهور المتلقي.

هذه اللغة تختلف من نوع إعلامي إلى آخر، وكلما انتقلنا من وسيلة إعلامية إلى أخرى تجد هذه الاختلافات تفسيراتها في طبيعة وخصائص كل وسيلة، فإذا كانت للصحيفة صلة بالبصر فإن للإذاعة صلة بالسمع في حين أن للتلفزيون صلة بالسمع والبصر معاً.

واللغة الإعلامية لكل وسيلة يجب أن تحقق التوافق بين طبيعة المرسلة الإعلامية والوسيلة الإعلامية دون إنكار وجود قواسم مشتركة في طبائع المرسلات الإعلامية مقروءة كانت أم مسموعة أم مرئية.

كما يجب أن تتلاءم العبارات مع طبيعة الأحداث المعالجة فالأسلوب يختلف حين ترصد تجمع جماهيري عن تصوير مأساة إنسانية كما يختلف عن متابعة صراع فكري.

وبهذا المعنى فإن اللغة الإعلامية بأدواتها التعبيرية والفنية ينبغي أن تستجيب لاحتياجات هذا التنوع، فاللغة الإعلامية وفنونها أساس لكل إنشاء وفن إعلامي، والصورة شريكة للكلمة في أكثر الوسائل "ثابتة أو متحركة" ومتلقي الرسالة جمهور واسع وإن اختلفت إلى حد ما نوعيته.

سمات اللغة الإعلامية المشتركة بين كافة الوسائل الإعلامية

تختلف اللغة الإعلامية عن لغات العلوم والمعارف المتخصصة لأنها تتجاوز الفئات المتخصصة إلى الجمهور الواسع، وتشترك لغات الوسائل الإعلامية المختلفة بالسمات التالية:

- مراعاة خصائص اللغة: مع الحذر من الانزلاق إلى العامية المبتذلة، فعلى الصحفي أن يراعي سلامة اللغة من حيث الكتابة الإملائية أو اللفظ ومعرفة تطبيق قواعد الصرف والنحو وحسن اختيار المفردات والتنقيط المناسب.
- استخدام الألفاظ المألوفة وتجنب الألفاظ العلمية والاصطلاحات النادرة: فالبساطة مرغوب فيها حتى في كتابة المواضيع الموجهة إلى المثقفين فقط، ولتأمين البساطة لا بد من تناسي بعض أشكال البيان والبديع المزخرفة أو المعقدة فالكتابة والاستعارة المغرقة في البعد والخيال لا تصلحان إلاّ في النادر من الريبورتاجات أو المقالات النقدية الفنية والأدبية، والبساطة في الأسلوب والبساطة في التراكيب يجعلها في متناول أي قارئ، ويجعلها تدخل في الموضوع مباشرة دون لف أو دوران، أي أنها تهتم بالمضمون وليس بالناحية الجمالية.
- الدقة والتجسيد: فقد تؤدي البساطة إلى الوضوح ولكن الدقة والتجسيد ضروريان أيضاً لأنهما يمنعان الوقوع في مزالق الثرثرة والضياع في متاهات المفردات

الغيبية وتكون الدقة في اختيار الكلمة المناسبة والعبارة السليمة الموجزة التي تعبر عن الوضع أو الحالة النفسية أو الحقيقية تعبيراً مباشراً والتي لا تسمح بالتداخل بين معنيين أو أكثر ولا بالارتباك في اكتشاف المدلول المقصود، والاقتصاد في الكتابة والبعد عن الحشو والإسهاب في نقل الآراء والاتجاهات والأمانة في تصوير أبعاد المشكلة.

- الحيوية: إذ يشترط في اللغة الإعلامية أن لا تكون جافة وباردة، لذلك ينصح في الخبر باستخدام أفعال النشاط بدلا من أفعال الكينونة، وبالنسبة للأنواع الصحفية الأخرى ينصح باستخدام عبارات تثير فضول القارئ لمتابعة القراءة أو الاستماع، فالصحافي الناجح لا يقص الخبر إنما يجعله مرئياً ومسموعاً. فاللغة الصحفية لغة حية متجددة وخلاقة انطلاقاً من كونها مطالبة بمواكبة أحداث العصر السريعة التغيير، مما يدفع بالصحفي الناجح إلى ابتكار وصياغة مفردات وتعابير ومصطلحات تتلاءم وتعبر عن الواقع وما يفرزه من مستجدات وأفكار، ونظراً لأن الصحفي في سباق مع الزمن وفي سباق مع الأحداث فإنه لن يتوقف عن الإبداع والابتكار.
- الإيجاز: وذلك بالاستغناء كلما أمكن عن أدوات التعريف وحروف العطف والتوكيد وظروف الزمان والمكان التي لا داعي لها واختصار الجمل الطويلة وتفادي التكرار والاستطراد.
- صفات الواقعية والموضوعية في الأسلوب الصحفي: من مظاهر القوة في كتابة المعلومات فهدف الصحفي هو تمكين القارئ أو المستمع من رؤية الحدث وسماعه والإحساس به فأقل حشو يضيع القارئ أو يبعده عن الفكرة الأساسية فمن هنا تأتي ضرورة حذف كل كلمة زائدة أو غامضة.
- أسلوب الكاتب: هو شخصيته وموهبته وملكته اللغوية، ولكن هذا الأسلوب يجب أن يكون ممتعاً يشد القارئ إليه، لذلك يجب توخي الدقة فيه وتجنب التكرار الممل والصيغ المبتذلة والكليشات التي سبق ترويجها. فالكاتب يجب أن يتوجه إلى جميع مستويات القراء لا إلى الصفوة منهم، لذلك عليه أن يكيف أسلوبه بما يتناغم مع اختلاف مشارب الجمهور وتفاوت قدراتهم على الاستيعاب والفهم.

لغة الصحافة المكتوبة

من الناحية التاريخية فإن لغة الصحافة المكتوبة هي أسبق إلى الوجود من لغة الإذاعة والتلفزيون، وقد تطورت أشكال الكتابة في الصحافة المقروءة خلال الفترة الفاصلة بين الطباعة وظهور الإذاعة والتلفزيون تطوراً ملحوظاً.

والنظرة المتشائمة للصحافة المكتوبة بعد انتشار الفضائيات لم تستند إلى وقائع محددة وموضوعية، فقد تمكنت الصحافة المكتوبة رغم التنبؤات المتشائمة كلها من الاستمرار والتطور واستطاعت أن تنتزع لنفسها مكانة مرموقة بين وسائل الإعلام المعاصرة، فالصحافة المكتوبة لها ميزات:

- الكلمة المكتوبة تبقى بالنسبة للمستوى الزمني الأبعد أبقى وأعمق وأكثر تأثيراً في الوعي وذلك لأن الإنسان قادر في أي وقت يشاء على العودة لهذه الكلمة وهي ميزة مهمة جدا في الصحافة المكتوبة تفتقدها بقية أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية.
- هناك علاقة شخصية حميمة بين الجمهور والصحيفة فبقية الوسائل الإعلامية تفرض الوقت من أجل ما نريد بينما يختار القارئ الوقت الذي يشاؤه هو لقراءة الجريدة وهذا عامل نفسي مهم وأرضية للعلاقة الودية والدافئة بين الكلمة المكتوبة والقارئ.
- الصحافة المكتوبة تتوجه في غالبيتها إلى الفئة المثقفة وبالتالي إلى أصحاب القرار في المجتمع وإلى النخبة القيادية بينما بقية وسائل الإعلام تتوجه لعامة الناس، هذه النقطة تجعل الصحافة المكتوبة أكثر تأثيراً.

وتأخذ لغة الصحافة المكتوبة الكثير من سماتها من طبيعة المجتمع ذاته، وهكذا فإن الطريقة التي تتحدث بها عن الأشياء تختلف من ثقافة إلى أخرى.

وتسعى الصحافة المكتوبة إلى إطلاع القسم الأكبر من الجمهور على الأحداث وإفهامه إياها بسهولة، لذلك يجب أن تكون المادة الصحفية مفهومة من الجميع بمن فيهم البعيدون عن مجرى الأحداث، وعلى الصحفي اللجوء إلى وسائل بسيطة تهدف إلى تسهيل القراءة وتسمح للقارئ المستعجل بأن يدرك ما هو منشور من النظرة الأولى، أي يجب أن تتيح للقارئ فرصة الإطلاع على محتوى الموضوع ابتداءً من قراءة الأسطر الأولى، فإذا كان القارئ مهتماً بالموضوع تابع القراءة وإذا كان بعيداً عن جوه نكون قد أطلعناه على ما يضعه في الجو.

لقد أصبحت القاعدة الصحفية أن تتم كتابة القصص الأخبارية بوضع أهم الحقائق في بدايتها وأحياناً يتم الخروج عن هذه القاعدة بالجنوح إلى عنصر التشويق بأن يتم إدخار العنصر الأكثر تشويقاً إلى النهاية أو استخدام الترتيب الزمني للأحداث "في التحقيقات الخاصة المواضيع ذات الصفة الإنسانية" .

كما أن هناك أخبار وامضة يتوجب نشرها دون أن تكون هناك فرصة لإتمام جميع عناصرها، لذلك يجب تبسيط مثل هذه الأخبار.

وبشكل عام أفضل كتابة صحيفة هي الكتابة البسيطة المباشرة لأن أسلوب التحرير الصحفي يهدف إلى تسهيل الفهم على القارئ ويهدف أيضاً إلى جذب جمهور الصحف وتحويله إلى مشاهد مباشر للحدث، فالإعلام بشكل عام يهدف إلى إشراك الجمهور في الحدث، ولكن لا يوجد أسلوب واحد مطلق علماً أن الكتابة بأسلوب سهل مبسط أصعب بكثير من الكتابة المعقدة والكتابة بطريقة سهلة واضحة ومقروءة في نفس الوقت هي اختبار لقدرات ومهارات الصحفي، كما أن الناس في أغلب الأحيان يقرؤون الصحف ليشعروا بالاسترخاء وهم لا يريدون إرهاق أنفسهم في محاولة فهم معنى ما يقال.

وتقسم الصحافة المكتوبة إلى أجناس أو أنواع فرضها الواقع، ويضطلع كل نوع بوظائف محددة وهي صيغ تعبيرية تعكس الواقع وتعتمد لغة إعلامية - أو أسلوباً - يختلف من جنس لآخر، ويمكننا تقسيمها من هذه الناحية وبحذر إلى أربع عائلات إذ تتشابه كل عائلة بخصائص أسلوبية متشابهة كما تتقارب نوعاً ما في تقنيات صياغتها:

- المجموعة الأولى: الخبر - التقرير.
- المجموعة الثانية: الافتتاحية - التعليق - العمود.
- المجموعة الثالثة: الريبورتاج - التحقيق - الحديث الصحفي.
- المجموعة الرابعة: الصورة الإعلامية.

لغة الخبر

"الخبر يستعمل لنقل معلومات عن أحداث جديدة"

ولغته الجواب عن الأسئلة من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟ (من الذي اشترك في الحادث؟ ماذا حدث؟ متى حدث؟ أين وقع الحادث؟ كيف وقع؟ لماذا وقع الحادث؟) ويتغير موقعها من خبر لآخر وإن كان المتفق عليه حالياً أن يكون شكل الخبر هو الهرم المقلوب، بمعنى أن يأتي الصحفي بالفكرة الرئيسية أو العنصر الأكثر أهمية ثم يأتي بالتفاصيل ويدرج عناصر الخبر في تدرج تناقصي من ناحية الأهمية وأن يراعي أثناء الصياغة:

- أن تكون لغته بسيطة وواضحة ودقيقة.
- أن تعرض عناصر الخبر في فقرات وجمل قصيرة وواضحة.
- أن تستعمل كل جملة عنصراً من عناصر الخبر.
- أن تعالج كل فقرة جزءاً مستقلاً عن الكل.
- أن يتميز العنصر الرئيسي عن العنصر الثانوي في كل خبر.

أسس الخبر وشروطه

- الواقعية: أن يكون الخبر ذو أهمية اجتماعية وينبغي أن يكشف الخبر العلاقة القائمة بين الحدث والمجتمع.
- الجدة: أن يكون الخبر جديداً وغير متوقع وعدم التأخر في نشر الأخبار. ولكن أهمية نشر الأحداث بسرعة تطرح السؤال التالي: هل من الأفضل التريث للتأكد من صحة الخبر أن نشره فور الحصول عليه لتحقيق

سبق صحفي؟ (الصحف الرصينة تفضل عدم النشر قبل التأكد) علماً أن الخبر الجديد قد لا يعني دائماً الحدث الجديد.

- المكان: لمكان الحادث أهمية بالغة والمكان مرتبط بالمحلية والأحداث الأكثر قرباً من القارئ هي الأكثر أهمية بالنسبة إليه. لذلك تلجأ الصحف الكبيرة والمتقدمة على تنويع طبعتها حسب دول التوزيع.
- الضخامة: أهمية الخبر تقاس بضخامته أي بمدى ما يحدث من تغير واضطراب وبعدد ونوعية الناس اللذين يؤثر ويتأثر بهم.
- سياسة الصحيفة: إن ملائمة الخبر لسياسية الصحيفة وانسجامه معها من أهم المعايير التي تحدد أهمية الخبر.
- النتائج والآثار: الحادث ذو القيمة الأخبارية هو الذي ينشأ سلسلة من الأحداث تؤثر في عدد كبير من الناس.
- الشهرة أو التبريز: شهرة الشخص أو الأشخاص الذين يدور حولهم الخبر.
- الغرابة: خروج الحدث عن المألوف.
- الصراع: ارتباط الخبر بأحد أوجه الصراع في العلم أو المجتمع.
- توزع عناصر استمالة القارئ مثل:
  - الوقائع التي تحدث تأثيراً عاطفياً.
  - الغموض والتشويق.
  - الطرافة.
  - الخدمات.
  - أن يكون الخبر موحياً بأفكار متعددة واحتمالات متنوعة.

إن اجتماع أكثر من عامل من العوامل يزيد من أهمية الخبر ومن اهتمام المجتمع به.

<u>*مصادر الخبر: (تقسيم كلاسيكي)*</u>

- مصادر خاصة "أي أن الخبر لا يذهب لجميع الصحف"
- المندوبون "كما في الصحف السورية في تغطية الأخبار المحلية".
- المراسلون: وتعتمدها الصحف الكبيرة نظراً للتكاليف الباهظة.
- العلاقات الخاصة.
- مصادر أخرى: وهي مصادر عامة "كتكليف لإحدى وكالات الأنباء بتقديم خدمات خاصة"
- المصادر العامة:
  - وكالات الأنباء
  - قسم الاستماع
  - المكاتب الصحفية
  - المؤتمرات الصحفية
  - الصحف
  - الصدفة
  - المواطنون العاديّون
  - شبكة الإنترنيت.

<u>*أنواع الأخبار*</u>

- الخبر البسيط: هو خبر صغير يدور حول حادث واضح ومحدد (أخبار شخصية – المرضى – الوفيات ..)
- الخبر المركب: أو الخبر المترابط أو الخبر الكبير (متعدد الزوايا والعناصر) كالقطعة الأخبارية أو القصة الخبرية. وهو أكثر تعقيداً من النوع الأول ويحتاج على تعليل وتفسير.
- أنواع خاصة: عبارة عن خليط من المعلومات لفائدة القارئ وتثقيفه وتحتوي على عنصر أو عدة عناصر إخبارية.

وتقسم الأخبار: إلى أخبار خارجية وأخبار داخلية.

وتتنوع مواضيعها: سياسي – اقتصادي – ثقافي وفني – علمي – رياضي..

<u>*التقرير الصحفي*</u>

"ويستخدم لنقل معلومات من خلال عنصر ذاتي – شاهد عيان" .

والتقرير الناجح جمع أكبر كمية من الحقائق والمعلومات في أقل قدر ممكن من الكلمات، لذلك لا يهتم الكاتب بالبحوث السابقة حول الموضوع ولا يدعم التقرير بالبيانات والإحصاءات والرسوم، وهو يكتب بطريقة معاكسة للخبر الصحفي أي بطريقة الهرم المعتدل ويشمل مدخلاً يمهد لموضوع التقرير يتناول زاوية معينة من زوايا الموضوع يختارها الكاتب بعناية، وهذا المدخل أو التمهيد لا يضم خلاصة الموضوع أو أهم حقائقه وإنما يضم فقط مدخلاً منطقيا يتوصل به الكاتب إلى شرح موضوع التقرير بحيث يضم جسم

الـتقرير التفاصـيل والشواهد والصور الحية للموضـوع، ليصـل بنا الكاتب في النهاية إلى خاتمة التقرير الصحفي وهي التي يكشف فيها عن نتائج أو خلاصة ما توصل إليه أو يقدم لنا أهـم نتيجة أو حقيقة وصل إليها في موضوع التقرير.

لغة الافتتاحية:

"تقـدم رأي الوسـيلة الإعلامية حول حدث ما" .

وهـي تسـتمد مادتها الأولى من باب الأخـبار وتضـيف إليـه بعد ذلك مادة قوامها المـنطق السليم القوي والحجة الدامغة المقنعة والبساطة في العرض والأسلوب الجميل والقوة في التعبير عن الرأي.

ولغة الافتتاحية بقدر ما يجب أن تكون مقـنعة ومدعمـة بالحجج والأدلة الضرورية يجـب أن تكـون سهلة وبسيطة وذات أسلوب يـتلاءم وطـبيعة قراء الصحيفة الذين تختلف مستوياتهم الثقافية.

لغة التعليق:

"يقدم وجهة نظر محددة ورأي واضح حول ما حدث" .

والتعـليق يجعل للأحداث التي تنشرها الجريدة معنى ومغزى ويكسبها رائحة وطعماً، وهـو فـوق هذا وذاك يتحكم في نظرة القراء إلى الأحـداث، فمـرة يحكم على بعض الأخبار بأنهـا لا قيمـة لها وأخرى يحكم على بعضها بأنهـا خطيـرة أو يصفها بأنها مقدمات لأزمة حادة.

وعلى كاتب التعليق أن يتذكر أنه ليس ناقل للخبر وأنه لا يعظ ولا يصدر تعليمات إلى القراء، وأن الهدف هو الفهم الكامل والواضح للأخـبار ومـا وراء الأخبار وعليه ألا يتوقف عـند حد تقديم المعلومات المفسرة والموضحة وإنمـا يخـلط بين الخبر وبين المعلومات التي يقدمهـا من جانب وبين الرأي من جانب آخر وإلا أصبح مقاله تفسيراً وليس تعليقاً.

كمـا أنه من الخطأ استعمال عدد كبير من التصريحات أو الخطب أو استعمال الحجج التي لا تساهم في توضيح القضية الأساسية.

والتعـليق يجب أن يرتكز على مسألة أساسية واحدة ويعبر عن وجهة نظر أكيدة أو عن حجة منطقية في شكل وجيز.

والمعـلق لا يمتـلك إلا سطوراً قليلة يقـدم عـبرها تعليقاً واضحاً ومختصراً، ومن المعـلوم بـأن الإكثار من الكلمات الغريبة أو التعابير الفنية الصعبة يجعل التعليق غير سليم ويجـرده من رونقه وجدته وأحيانا من التعبير الصحيح.

والتعـليق الذي لا يُقرأ هو تعليق غير موجـود، كما أن اللغة التي تفتقر إلى الدقة أو السـلامة وإلى الحجة الدقيقة والمنطقية والتي تعـوض بكلام يستمد من هنا وهناك عشوائيا تجعـل التعليق يحيد عن الهدف الذي أعد من أجلـه ويخلق لدى القارئ نوعاً من الاضطراب الفكري وسوء الفهم.

لغة العمود أو المقال:

"رؤيـة يقدمها صحفي معين لظواهر وأحداث يختارها"

فلغة المقال من ناحية جمال الأسلوب أشـبه بالمقـال الأدبـي لا الصحفي من حيث العـناية باختـيار الألفـاظ والاحتفاظ بحلاوة الأسـاليب وفيه مجال كبير لبيان النبوغ الأدبي أو القـدرة الـبيانية الـتي يمتاز بها المحرر الصـحفي، لأن العمـود الصحفي يهتم أكثر ما يهـتم بكل ما يمس مشاعر القراء وعواطفهم، فـلا يعيـب العمـود الصحفي أن يعتني كاتبه بألفاظـه وأن يختار أوقعها على العين وأقربها إلى القـلب وذلـك عـن طريق استخدام بعض الصـور البيانية والموسيقى اللفظية والأخيلة الأدبيـة ولكـن بشـرط ألا يغرق كاتب العمود بحيث يفقد العمود صفته الصحفية ويصبح أدباً خالصـاً فهـنا يـتخطى العمـود الصحفي لغة الصحافة التي تتلاءم وطبيعة القراء جميعا.

لغة الريبورتاج أو الاستطلاع

"يصور الحياة الإنسانية"

وقد اقترن ظهور الريبورتاج بنصوص الكـتاب الذيـن وصفوا الطبيعة المحيطة بهم والناس الذين كانوا يقاسمونهم الحياة، ويمكن إدراج الـرحالين ضمن هذا الصنف لكونهم قد

طافوا عبر عدد من البلدان والأماكن وعادوا بوصف لما رأوه.

إن دخول رجال الأدب في مجال الريبورتاج قد مارس بعد الحرب العالمية الأولى تأثيراً كبيراً على الطابع الفني للريبورتاج، حيث لم يعد هذا النوع الصحفي مجرد وصف سطحي بسيط بل تطور في شكل أدبي وحوار وقصة.

ومن خصائص الريبورتاج المشاهدة والاستماع والإحساس والشعور بما يشاهده الصحفي ويسمعه ويحس به بنفسه، ويُختار هذا النوع عندما يكون للخبر طابع المشهد الحي المتعدد المظاهر، فإن نقل المشاهد والاستماع والإحساس كلها عمليات تتطلب من الصحفي بأن يكون مزوداً بلغة غنية بالمعاني الضرورية لرصد هذه الاحساسات الثلاثة، وإذا عجزت لغة الصحفي عن وصف حاسة من الحواس فإن نقله للواقع الحي سيكون مبتوراً ومختلاً، وفي هذا الصدد فإن تجربة الصحفي الحياتية ومؤهلاته وخبرته المهنية تلعب دوراً مهماً في توظيف اللغة التي تعكس بصدق موضوع الاستطلاع.

وتوجد أنواع كثيرة للريبورتاج يتميز كل نوع منها بخصائص معينة، فالمرء لا يكتب بنفس الطريقة ريبورتاج عن وقائع ثورة أو حادث اصطدام أو مباراة رياضية أو رحلة أو انتخابات.

فالمهمة الأولى لكاتب الريبورتاج هي مشاهدته لما يجري من أحداث وما يقال من كلام ثم يسجل انطباعاته حول كل هذه الأشياء وعمله الأصلي يتمثل فيه: النظر – السمع – الفهم – التسجيل – القرار.

وبما أن الصحفي هو ممثل القرار والمستمعين والمشاهدين الغائبين، لهذا يجب عليه أن يكون أداة إدراك وحس، وخاصة أداة حساسة ونشيطة ومنتبهة لكي يتركهم يعيشون الحدث كما وقع، فإذا لم يشعر القارئ أو المستمع بالمكان وبالأحداث والناس (أي بالبعد الدرامي الإنساني الذي يتضمنه كل حدث) يفقد الريبورتاج الصيغة الإنسانية ويكون جافاً ميتاً.

ولغة الريبورتاج يجب أن تكون نابضة بالحيوية والنشاط، أي تجعل الواقع من خلال القراءة أو الاستماع أو المشاهدة يتحرك من جديد كأنه يعاد تمثيله.

لغة التحقيق

"يشرح ويحلل ظاهرة أو مشكلة أو أحداث وتقديم الحلول بشأنها"

والتحقيق يحتوي على عناصر الخبر والتعليق والمقال والحديث الصحفي والتقرير والريبورتاج والدراسة، ويستوعب هذه العناصر كافة ويهضمها ويتمثلها ويشكل لنفسه بذلك طابعاً مميزاً بخاصيته وشخصيته المستقلة.

إن الأسلوب المستخدم في صياغة التحقيق يؤدي إلى نجاحه أو فشله، وصياغة التحقيق هي عبارة عن عملية بناء متكامل يشمل اللغة التي تحمل دلالات ورموزاً يعلم القارئ من خلالها بالمشكلة أو الظاهرة ويشمل أيضاً تسلسل تقديم وجهات النظر المختلفة، كما يحتوي على الترتيب المنطقي للحجج والأدلة.

ويضع المختصون خمسة أساليب لصياغة التحقيق الصحفي:

- أسلوب العرض: يتميز هذا الأسلوب بالبساطة والجاذبية ويستخدم في غالب الأحيان عندما يكون التحقيق متضمناً لكمية هائلة من المعلومات والمواقف.
- الأسلوب القصصي: ويتميز بالإثارة والحيوية والرشاقة وغالباً ما يستخدم في التحقيقات التي تدور حول قضايا وظواهر تغطي فترة زمنية طويلة أو تشمل مناطق عديدة أو تتعلق بأطراف مختلفة.
- الأسلوب الوصفي: يتميز هذا الأسلوب بوجود قدر معين من الوصف المباشر للمكان أو للأشخاص، ويستخدم عادة في التحقيقات التي تهدف في المقام الأول إلى تعريف القارئ بأمر ما أو منطقة ما أو فئة اجتماعية معينة وهو أسلوب شائع جداً وخاصة في المجلات.
- أسلوب الحديث: وهو يعتمد أساساً على آراء شخصية واحدة أو عدة شخصيات بحيث تشكل هذه الآراء الهيكل والعمود الفقري للتحقيق، وأثناء عرض هذا الحديث

أو هـذه الآراء يقـوم الصـحفي بـتقديم معلومات ووقائع.
- الأسلوب المختلط: وهو أسلوب عام لا يتقيد بـنمط معين بل يأخذ من الأساليب السابقة الذكـر وفـق ما تقتضيه الضرورة وطبيعة الـتحقيق ذاتـه وهـذا النوع من الأساليب يتطـلب مهارة لخلق بنية متماسكة للتحقيق الصحفي.

لغة الحديث الصحفي

"محـاورة مسـؤول أو مختص لشرح وإيضاح قضية ما"

يعـتقد البعض بأنه ليس هناك أسهل من طرح الأسئلة على شخص وتدوين ردوده، لكن في الحقيقة الأمر أعقد من ذلك وليس كما يبدو لأول وهلة.

وعـرف الحديـث الصـحفي تحولات عديدة، فقد انتقل من مجرد خبر بسيط ليصبح بمـثابة دراسة طرق التفكير الإنساني وكشف خفايا الأفراد وأفكارهم ومعتقداتهم كما أضحى منهج بحث هام.

ومـن الواضح أن كيفية طرح الأسئلة تؤثـر سـلباً بشـكل كبير على مضمون ولغة الحديـث الصـحفي، وهكذا فإن الصحفي الذي يطـرح أسئلة سهلة تؤدي إلى الأجوبة بنعم أو لا أو بـرقم أو نسـبة لا يمكـن أن يتوقع إلا أجوبة بسيطة على مثل هذا النوع من الأسئلة.

لغة الصورة

"تقـدم وقائع لحياة فرد أو جماعة أو مناظر من الطبيعة"

والصـورة الإعلامية تلعب دوراً هاماً في بلورة الحدث وإعطائه أبعاده الحقيقية، ولا تخـلو معظـم الصحف والمجلات من الصور الحية.

والصـورة بإمكانها التنقل عبر العالم بدون أن تكون بحاجة إلى مترجم، ولذلك فهي لغة عالمية تفهمها كل الشعوب.

وغالبا ما تكون الصورة أهم بل أنجح وسـيلة إعلامية في الجريدة بأكملها، فبوسعها أن تعطـي المضـمون أو الهـدف الإخـباري بسـرعة أكـبر وبوضـع أفضـل من التعبير الـلفظي، وتسـتطيع أن تظهـر فـي كثر من الأحـوال لحظة خاصة من وقائع الأنباء بشكل مرئي ومفصل ومستفيض.

فالصـورة يمكـن أن تقـوم مقـام آلاف الكـلمات وهـي أمينة وصادقة في نقل الحدث.

ولا بـد مـن الإشـارة في الصحافة المكـتوبة وبشـكل مختصر جداً إلى شكل من أشكال الصحافة المكتوبة وهو المجلات.

أنواع المجلات

- المجلات الجامعة: وهي مجلات تجمع سائر ألوان المعارف.
- المجلات الاختصاصية: وهي مجلات موجهة على فئة خاصة من المثقفين.
- المجلات المتخصصة المنوعة: وهي مجلات تتأرجح بين التنوع والاختصاص.

وتصنف المجلات من حي الشكل:

- مجلات عادية
- نشـرات (ومعظمهـا اختصاصـية وتوزع مجانا)
- مجـلات مصورة (ملونة أو عادية) أو غير مصورة.

وتصنف المجلات من الناحية الزمنية:
أسـبوعية - نصـف شـهرية - شهرية - فصلية - غير دورية.

اللغة الإذاعية

تتميز لغة الإذاعة بالوضوح والاقتصاد والسلاسـة حتى يمكن أن تصل إلى الجمهور مـن المستمعين في وضوح يساعد على الفهم والمشـاركة فـي تتبع المضمون، ومن جهة أخـرى عـلى اللغة المذاعة أن تراعي أن من أصـول الإلقاء الإذاعي تقدير القيمة الصوتية للألفـاظ والـتدقيق في استخدامها وفي معرفة وضـعها الحقيقـي على آذان المستعين، وفي ذلـك كلـه مـا يتجه بهذه اللغة المذاعة إلى الاقتصاد في عدد الألفاظ والاقتصار على القدر المطلوب لتحقيق الفهم والمشاركة.

ويتمثل الأسلوب الإذاعي بالمقارنة مع الـبلاغة المكتوبة وفي شخصية الإذاعي وفي بـنية جملته واختيار ألفاظه وفي نبرات صوته

وفي إلقائه وخفة النكتة والبشاشة التي تصدر من كلامه.

وهناك أربع صفات يجب أن تتوفر في الأسلوب الإذاعي وهي: الاختصار - سلامة اللغة - الوضوح - الحرارة أو اللون.

وكما يقال لكل حادث حديث فإن لكل مناسبة الكلمات التي تليق بها، ويجب أن يكون اختيار الكلمة مقصوداً ومتعمداً وقائماً على دراسة دقيقة لفقه اللغة والإطار الدلالي للكلمات ومدى ما تنطوي عليه من شحنات عاطفية أو منطقية ومدى ما تحدثه من تأثير واستجابة، لأن المستمع يستنجد بخياله الخاص لتصوير المنظر، والمذيع الممتاز هو الذي يستطيع أن يصور المنظر بالكلمات صوراً حية.

كما أن هناك حدوداً حتمية لما يقوله صحافيو الإذاعة، هذه الحدود لم يضعها القانون ولكن فرضت بحدود الوقت وبقدرة اجتذاب الجمهور، وتحديد الوقت في الإذاعة يجبر الصحافيين على اختصار أخبارهم بحيث لا يمكنهم التطرق إلى كل مواضيع الأحداث التي تتناولها الصحافة المكتوبة، كما أن تحقيقاتهم لا تتضمن كثيراً من التفاصيل، ويتمثل القيد الثاني في صعوبة الوصول إلى أحسن نتيجة من خلال حصر وضغط الكتابة، ومن هنا فإن الجمهور لا يمكنه الحصول على أكبر قدر من المعلومات انطلاقاً من الريبورتاج الإذاعي أو التلفزيوني، أي من خلال ريبورتاج مكتوب بطول قصير جداً.

وتتكون المادة الإعلامية الإذاعية عموماً من عدة عناصر وهي: الكلمة المنطوقة والمؤثرات الصوتية والحضور الإنساني المباشر، ويشترط في اللغة المنطوقة أن تتسم بالشمول والسرعة والمباشرة والواقعية، وأن تستخدم أقل عدد ممكن من الكلمات في وضوح وبساطة وإيجاز وتأثير.

أما المؤثرات الصوتية فتساهم في إعطاء صورة كاملة للحدث دون تدخل المعلق، فالميكروفون باستطاعته أن يقدم صورة صوتية للحدث مثل الصورة الصوتية لرياح عاتية أو أصوات الحرائق ودوي المدافع.

ويمكن أن نلخص صيغة اللغة الإذاعية:

- لا تضع في مقدمة الخبر أسماء غير مألوفة، إذ أنها سرعان ما تسقط من ذاكرة المستمع لأن المستمع لا يمكنه تقبل هذه الأسماء إلا بتقديمها مع معلومات تعريفية.
- تجنب أن تبدأ المقدمة بأسئلة، فالمقدمة التي تبدأ بسؤال تبدو أشبه بإعلان.
- يجب أن تجذب المقدمة الاهتمام إلى العنصر الرئيسي في القصة الخبرية، ولا ينبغي أن نحشوها بحقائق عديدة لأننا بذلك نفقد أذن المستمع عن طريق تحميله ما لا يطيق.
- استخدام الزمن المضارع عندما نتحدث عن تقارير اللجان.
- تجنب الكلمات الصعبة والمعقدة متى وجدت كلمات بسيطة.
- تجنب القوالب اللغوية والصيغ المبتذلة والتعبيرات التي تلوكها الألسن باستمرار.

<u>لغة التلفزيون</u>

تتسم لغة التلفزيون بخصائص معينة، لكن تجمعها بلغة الإذاعة أوجه شبه عديدة في الوقت نفسه، كما تعتمد بعض الصياغات المستخدمة في الصحافة المكتوبة.

والصورة الفيلمية هي العنصر الأساسي في تكوين المادة الإعلامية في التلفزيون، إذ أن الصورة الفيلمية تعطي المشاهد إحساساً بالاندماج بالمعروض.

والصورة الفيلمية من حيث المبدأ نقل حقيقي وكامل للواقع، لأن الكاميرا تلتقط الصورة كما هي أمامها، ولكن هذا الواقع تتدخل في عملية نقله عناصر فنية وتقنية مساعدة كالضوء واللون وزوايا التصوير وغيرها، وما يميز الصورة الفيلمية أيضاً أن فيها الحركة التي تفتقدها بقية الوسائل الإعلامية.

إن للكلام في الصورة الفيلمية مهمة التوضيح وإتمام المعاني، كما أن الصورة لا تعطي معناها مثلاً كصورة إعصار يضرب منطقة معينة دون أن يشار إلى المكان والزمان ومقدار الخسائر المادية وعدد الضحايا.

الوظائف التي يقوم بها التلفزيون

وهي أكثر اتساعاً وأكثر تنوعاً من تلك التي تقوم بها وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى مجتمعة.

- التلفزيون أكمل وسائل الاتصال حيث تظهر الوقائع والأحداث مصور مع المؤثرات الصوتية.
- التلفزيون وسيلة ونشيطة ومتنوعة للتعليق والتحليل.
- يقوم بوظيفة ثقافية وتعليمية.
- يقوم بوظيفة التربية الفنية والجمالية.

الخصائص والسمات المميزة للتلفزيون

- تقديم الحدث لحظة وقوعه
- قابليته على أن يستخدم الصوت والصورة والموسيقا والمؤثرات الصوتية والمونتاج.

مما يجعل طريقة ومتميزة في استخدام وسائل وطرائق التعبير الشائعة.

وفيما يتعلق بلغة أخبار التلفزيون، فهي مزيج مركب تجمع بين الصوت والصورة وما يكتب باعتباره تعليقاً على الفيلم المصور، كما أن هناك أخبار أخرى لا ترتبط دائماً بفيلم أخباري.

وبشكل عام يجب على لغة الخبر أن تلتزم القواعد التالية:

١- استخدام الجمل القصيرة.
٢- عدم استخدام الجمل الاستعراضية والاستطرادات أو الإستثناءات.
٣- ليس من الضروري ذكر الأسماء الكاملة للشخصيات التي ترد في الأخبار ويفضل الاكتفاء باللقب الأكثر شهرة، وكذلك عدم ذكر المناصب والوظائف التفصيلية لهذه الشخصيات.
٤- يفضل ذلك الأعداد الكلية والتغاضي عن كسور الأعداد، كما يفضل عدم ذكر الأرقام الدالة على التاريخ ما لم يكن ذكر التاريخ بالأرقام ضروري للخبر.

أنواع الأخبار التلفزيونية

أولاً - التغطية الإخبارية: عرض وتقديم واقعة كاملة.

- الأنواع التحادثية: وهو الكلمة الحية التي تظهر المضمون ولها ذات المادة (ونعني الشخص الذي يفكر بصوت مسموع) لذلك يشكل الارتجال سمة أساسية من سمات هذه المجموعة. وأهم الأنواع التحادثية
  - الأخبار التي يقرأها المذيع.
  - ظهور الأشخاص على الشاشة وهم الناقلون المباشرون للمعلومات.
  - الظهور الرسمي على الشاشة: وهو غالباً ذو طبيعة عامة ويستخدم المتحدث نصاً معداً وموافق عليه.
  - الظهور المباشر الذاتي لحامل أو ناقل معلومات ملموسة ومحددة تتعلق بشكل مباشرة أو غير مباشر بعمله أو حياته. وهنالك ثلاثة أنواع رئيسية لهذا النموذج:
    - النصوص المعدة سلفاً.
    - الحديث مع استخدام بعض المذكرات أو الملاحظات المكتوبة.
    - الظهور الارتجالي بدون نص معد سلفاً مع التحديد المسبق للموضوع والزمن.
  - الظهور المنظم وهذا النموذج يستدعي مشاركة صحفي تلفزيوني ليس كمحرر بل أقرب ما يكون على مساعد مؤلف على المتحدث.

والظهور التلفزيوني بدون أي صور مقبول في ثلاث حالات:

- عندما تكون شخصية المتحدث لوحدها وبذاتها.
- أن تكون الخصائص الذاتية للشخص عالية (مقدرته على الاتصال عبر الشاشة، قيادة وإدارة الحديث..)
- إذا احتجنا على نوع من الحديث الصرف أو على استجابة سريعة وعند استحالة توضيح

وعرض موضوع بمساعدة الوسائل المعينة (صدور قرارات حكومية، أو تقارير..) وعند تقديم برامج من هذا النوع تكون مهمة المحرر أن يحدد بوضوح المهمة أمام الشخص الذي سيظهر ويتحدث من على الشاشة ثم ينتقل إلى تحديد الموضوع وتطويره في سياق حديثه مع الشخصية التي دعاها لتتحدث في البرنامج.

التعليق

يعالج مجموعة وقائع مرتبطة عرضياً ببعضها البعض أو تعالج ظواهر وتطورات إجمالية. ويجب أن يستخدم التعليق منهج التحليل.

والتعليق عبارة عن تفسير كفؤ وجيد لظاهرة اجتماعية أو سياسية راهنة أو لحدث هام في الثقافة والعلم وهو يتطلب معرفة خاصة متحدة ومرتبطة بجوهر الموضوع.

أما المعلقون فهم إما اختصاصيون لديهم موهبة التقديم العلني ولديهم أيضا المقدرة على التصرف الكلي بشكل مناسب وطبيعي أمام الكاميرا والميكروفون.

ثانياً - الحديث التلفزيوني: وهو عبارة عن حوار مباشر بين الصحفي مستلم المعلومات وشخص آخر أو مجموعة من الأشخاص المحددين لهذه المعلومات وعلى الصحفي خلال الحديث:

- تطوير وشرح الموضوع بشكل كامل.
- أن يعمق بالتدريج وبشكل منطقي المعلومات.
- تحديد وصياغة الأسئلة وترتيبها.
- الارتجال عند اللزوم بعفوية وبطريقة منطقية.

المؤتمر الصحفي

عبارة عن نوع من أنواع الحديث الصحفي يوجه فيه عدد كبير من الصحفيين أسئلة إلى شخصية واحدة أو أكثر ذات معرفة كاملة بالموضوع.

التقرير التلفزيوني

وهو نوع تقليدي يحتل مكاناً مركزياً ومهمته نقل الحدث بسرعة وديناميكية وبأقصى قدر ممكن من الواقعية. والتقرير يكون:

- التقرير (التغطية) الفورية.
- رواية المراسل التي يسجلها أمام الميكروفون.
- الريبورتاج على شكل نقاش أو محادثة بين متحدثين.
- الريبورتاج الذي يأخذ شكل حديث جماعي مع عدد من أشخاص شاركوا في الحدث.
- ريبورتاج يأخذ شكل صورة وصفية أدبية.
- ريبورتاج محاضرة.
- ريبورتاج بشكل تعليق حيث يقدم تعليقات محددة يدعمها بتسجيلات صوتية.
- نقاش الطاولة المستديرة (مع أحاديث صغيرة بمساعدة الكاميرا المتنقلة).

وبشكل عام فإنه ليس من الضروري لخبر الإذاعة والتلفزيون أن يجيب على الأسئلة الستة للخبر في الصحافة المكتوبة، إنما يكتفي بالإجابة على سؤال أو إثنان منها حسب الأهمية، فالمدخل لا يجب أن يتضمن إلاّ القليل من العناصر الهامة أما البقية فيجب أن يضعها في نهاية الجملة، إذ يجب الانطلاق من مبدأ أن الجمهور لا يعير اهتمام للكلمات الأولى الواردة في المدخل إذا كانت هذه الكلمات لا تحمل أي معلومة.

لغة وكالات الأنباء

تعتمد وكالات الأنباء في صياغة أخبارها صيغاً متفق عيها عالمياً، لتتمكن من حسن استغلال تلك الأخبار على نطاق واسع وبدون معوقات.

ويتطلب من خبر وكالة الأنباء أن يكون بسيطاً وواضحاً وسليم اللغة وأن تتوفر فيه الشروط التالي: الدقة - السرعة - الأهمية - الإيجاز.




صليلُ السيوف..!!

الشاعر خالد الخنين

دعِ المـــــــنابرَ تغفـــــوُ فـــــي دُجى الخُطَـــــب
واصــــعدْ إلى المجـــدِ فـــوقَ الـــنَّارِ والـــلَّهب
واســــرجْ خيولـــــكَ لــــلهيجاءِ عابــــرةً
عـــلى الخُطـــوبِ، ومــــزِّقْ حــــالكَ الحُجُـــبِ
مــــن نســــلِ عنــــترةٍ كـــنَّا ومــــا بَــــرِحَتْ
هــــذي الجــــباهُ بمــــا تهــوى عـــلى سَـــغَبِ
وذاك طـــــارقُ فيــــنا حاضـــــرٌ أبــــداً
وابــــنُ الوليــــد، وبقيــــا جَحْفَــــلٍ لجــــب
وابــــنُ المغيــــرة والقَعْقَــــاعُ ذاك همــــو
فرســـــانُ مكــــةَ فخــــرُ الســـــادة الـــــنجب
فاتــــبعْ طــــريقَ رجــــالٍ مـــا يـــزالُ لهــمْ
شُــــمُّ المعــــاقلِ مـــــن نجـــرانَ للـــــنَّقبِ
واصــــرخْ: هـــو الوطـــنُ المـــنكوبُ لا سَـــلِمَتْ
عيـــنٌ تـــنامُ عـــلى البـــلوى ولـــمْ تَـــثِبِ
يــــا صـــيدَ مكـــةَ هـــذا اليـــومُ يومُكُـــمْ
فلتَشْــــهَدِ الأرضُ زحفـــاً دامـــيَ الغضـــب
شـــمسُ الجهـــادِ هـــي الأبـــقى فمـــا غَـــربَتْ
شـــمسُ الـــبلاد عـــلى ذُلٍ ولـــنْ تغـــب






ولا تنامُ على ضيمٍ جحافلُنا
ولا يموتُ نداءُ الحقِ في العَصَبِ
نحنُ الذين مدى الصحراءِ رايتُنا
تزهو بنخوتها عِزّاً على الشُّهبِ
الله أكبرُ عبرَ الدهر نرفعُها
حتى الفضاء ومنّا سيدُ العرب
الله أكبرُ والسّاحاتُ غاضبةٌ
فاهنأ بأمتكَ العصماء خيرَ نبي
إنّا لنهزأ بالأحداثِ قاتمةً
كالليّل تمضي، ولا تهوى على تعب
كأنهُ النخلُ في فرعِ السماءِ بدا
ورايةُ الكبرِ فوقَ السّاحِ في غُلبِ
ولا نُطأطِئ رأساً للعدا أبداً
ولو علا دَمُنا المسفوحُ للرُكب
أكبادُنا اشتعلتْ جمراً بلا لهبٍ
وخيلُنا انكفأتْ هَلْكى بلا سبب
وكمْ تعذّب قيسٌ من صبابته
وكمْ مشى بهوى التوبادِ حلمُ صبي
رُدّي خيولكِ عن خيلي فكمْ جمحتْ
هذي الجيادُ على شطآنَ من ذهب
إني سألتُ عن التاريخِ أمتَنا
فغضْتِ الطرفَ من هولٍ ولم تُجِبِ
ما بالُها عصفتْ فيها كآبتُها
حتى كأنَّ عيونَ القومِ في عتب




بك المواجعُ تُدمي كلَّ ذي كبرٍ

حتى يذوبَ، وما يُدْمي الرِّجالَ فَبي

ما همَّنا أبداً في الساح نازلةٌ

فكيف يذبحُنا جرحٌ على الكُرَبِ

نامَ الطغاةُ على أشلائِنا زمناً

كما الشواهدُ إذْ نامتْ على التُّرَبِ

نامي فقيسُك لا يقوى على ولهٍ

ولا الزمانُ بمرتَدٍّ على الحِقَبِ

فالبيدُ ظمآى وليلى شَعْرَها سَعَفْ

والدمعُ هَدْهَدَ بينَ الفُتَّنِ الهُدُبِ

رُدي على الألقِ المحزونِ غربَتَه

ولا تُغالي بهِ في البُعدِ، واقتَربي

إني لأعجبُ من أرضٍ تميد بنا

تحتَ الطغاةِ وهذا القلبُ في عجبِ!!

كيفَ استحالَ شذا الأنهارِ نوحَ دمٍ

وكيفَ صارتْ سيوفُ العُربِ من خَشَبِ

وكيفَ ضاعتْ على الأغصانِ بسمتُها

يومَ استحال أسىً نخلي إلى حَطَبِ

هزّي السواعدَ، فينا رُبَّما انتفضتْ

فينا الضلوعُ، وثارتْ ثورةُ الغضبِ

بالصمتِ والجدِّ نبني مَجدَ أمتنا

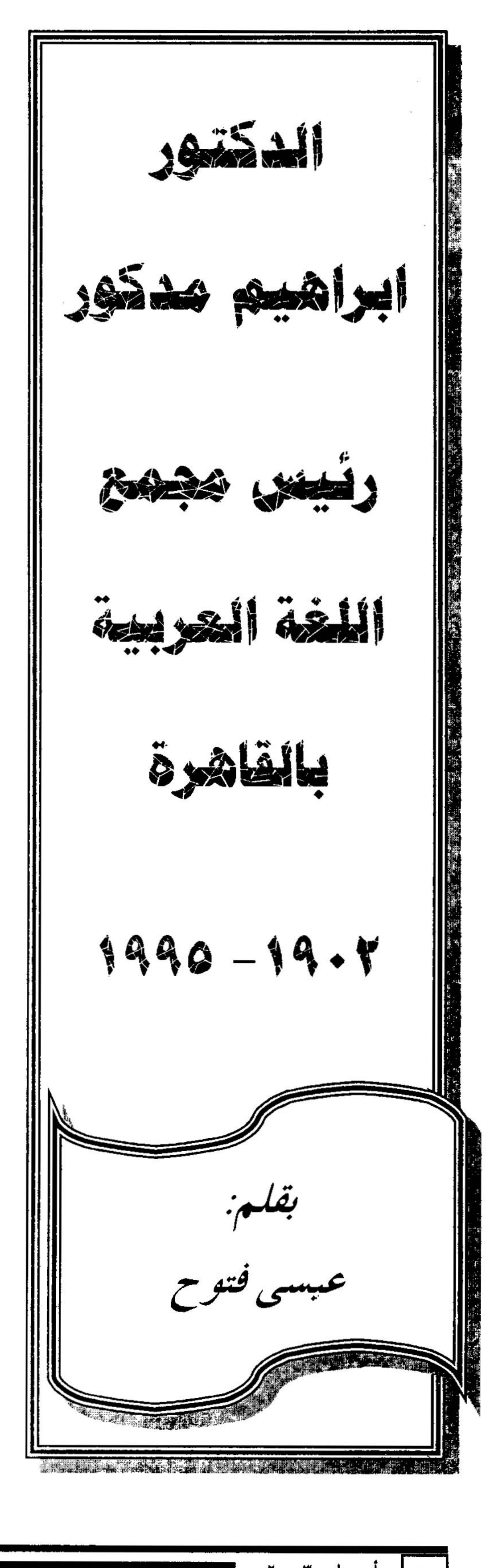
وليس يعلو لواءُ الحقِّ بالصَّخبِ

وبالإباءِ يُباهي كبرُنا أبداً

ولا يُباهي إباءُ الكبرِ بالحَسَبِ







فقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الخامس من كانون الأول ١٩٩٥ أحد أعمدته الشاهقة، الأستاذ الدكتور ابراهيم بيّومي مدكور الذي تسلَّم رئاسة المجمع عام ١٩٧٤ خلفاً لرئيسه السابق الدكتور طه حسين.

ولد الدكتور مدكور عام ١٩٠٢ في "أبي النمرس" بمحافظة الجيزة. وحصل على دبلوم دار العلوم عام ١٩٢٧، وليسانس الآداب من جامعة السوربون عام ١٩٣١، كما حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس عام ١٩٣٣، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٣٤.

عُيّن عضواً في هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول) عام ١٩٣٥ ثم انتدب للتدريس في بعض الكليات الأزهرية، واختير لعضوية مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٦، واشترك في عدد من لجان المجمع، منها لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ولجنة المعجم الكبير.

اختير عضواً في مكتب المجمع، ثم أميناً للسر عام ١٩٥٩، ثم أميناً عاماً له عام ١٩٦١، وظل يشغل هذا المنصب حتى اختير رئيساً للمجمع عام ١٩٧٤، وكان عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية في بغداد.

يعد الدكتور ابراهيم مدكور واحداً من كبار رجال الفلسفة والفكر وعلماء اللغة في الوطن العربي، ومن أبرز قادة الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وقد كانت له مشاركته في الحركة الوطنية في مصر، اعتقل في فجر شبابه وسجن لدوره في ثورة١٩١٩.

ألف عدداً من الكتب في اللغة والأدب والفكر والفلسفة، ونشر عشرات المقالات والأبحاث في مجلات المجامع اللغوية العربية وغيرها، عالج فيها الكثير من القضايا اللغوية الكبرى مثل تطور اللغة والصلة بينها وبين الفكر، والقياس، والتعريب، والنحو العربي في نشأته وتطوره، ومنزلة اللغة العربية بين اللغات العالمية الكبرى.

كما عالج لغة العلم بوجه خاص، فعرض لخصائصها ومميزاتها، وجهود العلماء في وضعها وصياغتها وبيان تاريخها، وما انتهت إليه اليوم في لغتنا العربية، ووقف في أبحاثه مطولاً عند فن المعجمات، وبيّن تطورها، وما وصل إليه المعجم الحديث، وعند لون من التأليف المعجمي لم يُلحظ في ترتيبه وتبويبه إلاّ مجرد نطق الكلمة، وهو ما سمي بالمعجم الأبجدي، وله آراء سديدة في مشكلة تيسير الكتابة العربية..

لا نستطيع في هذه المقالة الوقوف عند أفكار العلامة الدكتور ابراهيم مدكور، وحسبنا أن نشير إلى أبرز الآراء والقضايا التي طرحها في كتبه ومقالاته ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الاشتقاق والتعريب ومدى حق العلماء في التصرف باللغة، ونشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام، والمصطلحات العلمية المعاصرة وغيرها.

يرى الدكتور مدكور أنه لا حياة للغة بدون ابتكار ألفاظ جديدة تواجه الزمن ومستحدثات التطور، وأهم سبله الاشتقاق والقياس، ومن أخص خصائص العربية أنها لغة اشتقاقية، وهذا الاشتقاق أكسبها مرونة ومناعة في آن واحد، فسمح لها بخلق ألفاظ جديدة، وحافظ على ثروتها، وحماها من الزيغ والشطط.

وقد وضعت للاشتقاق قيود تحدد ما يُشتق وما لا يُشتق منه، فكان الاشتقاق أداة طيعة في أيدي الأدباء والعلماء مكّنهم من أن يجدوا الكلمات الملائمة لأداء ما يعن لهم من معان، وكلما نجحوا في الاشتقاق استغنوا عن العامي والأعجمي، وما دامت اللغة تسير، فلا بد أن يسير القياس معها، منطلقاً في هذا الرأي من قول أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني "ما قيس على كلام العرب فهو منه" ولنا أن نقيس كما قاس القدماء، وأن نشتق ونصرّف كما اشتقوا وصرّفوا، ذلك لأن العربية ليست ملكاً لأحد، ولا طقوساً يُتعبد بها، وإنما هي مجرد لسان يتصرف به أهله في ضوء ظروفهم وحاجاتهم.

وكان يرى أن اللغة العربية لغة عالمية لما تتمتع به من خصائص ومقوّمات وغزارة في الألفاظ، وغنى في المفردات، يتخاطب بها ما يزيد على مئة مليون عربي. ويعوّل نحو ثلاث مئة مليون على كتابتها في تسجيل أعمالهم وأبحاثهم، وهي لغة قادرة على إثراء الفكر الإنساني، ومؤهلة للإسهام في الحضارة، ولكن كثيراً ما يختلط فيها المهمل بالمستعمل، والغريب بالمألوف، ولذلك يجب اختيار قدر من ألفاظها ليلائم مطالب الحياة الحاضرة، ويُضمّن في معجمات خاصة، ولا شك في أن هذه المعجمات تيسر تعلّم العربية على الأجانب، وتساعد على نشرها في بيئات لا عهد لها بها.

ويقول في بحثه "لغة العلم": إن في العامية قدراً غير قليل يرجع إلى أصل فصيح،

وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه، وبذلك يُرد إلى الفصحى ما أخذ عنها، فإن لم تسدّ العامية والفصحى حاجته، فله أن يلجأ إلى التعريب.. غير أنه يجدر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة.

ويؤكد أن قيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية، أما أن يختلف من باحث إلى آخر، ومن قطر إلى قطر، فإنه يبقى عملة غير متداولة، وكم من مصطلحات ولدت ثم لم تلبث أن ماتت.. وتوحيد المصطلح العلمي ليس مما يلزم به قانون، أو تفرضه سلطة قاهرة، وسبيله الطبيعي إنما هو الكتابة والتأليف.. وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل.

ويتطرق في بحثه "الأدب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف" الذي ألقاه في مؤتمر الأدب العربي المعاصر الذي عقد في روما عام ١٩٦١، إلى الصعاب التي أثيرت حول الكتابة العربية، وإلى الدعوة إلى الكتابة بالعامية، أو بالحروف اللاتينية.. وكان من أبرز دعاتها سعيد عقل في كتابه "يارا" الذي صدر في بيروت عام ١٩٦١، وعبد العزيز فهمي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فرد عليهما رداً علمياً مقنعاً، وبيّن أن دعوتهما تقطع كل صلة لنا بماضينا وتراثنا الفني العريق، ثم إن الحروف اللاتينية لا تتلاءم مع طبيعة العربية لغة الإعراب والصرف، ناهيك عن أن هذه الحروف أقل اختزالاً من الحروف العربية، وتشغل حيزاً أكبر، ونحن نعيش في عصر السرعة، وما صنعه الأتراك لا يُقاس عليه، لأن لغتهم أضيق مجالاً وأقل استعمالاً، وماضيها ليس شيئاً أمام ماضي اللغة العربية الزاخر، وليس لها كتابة خاصة بها تحاول العدول عنها.

ويؤكد أخيراً أن الأدباء واللغويين والعلماء مطالبون دائماً بأن يبتكروا ويجددوا وعليهم أن يملؤوا العربية حياة وقوة كي تصمد في الصراع الحضاري واللغوي الذي نعيش فيه اليوم، وتستعيد مجدها بين اللغات العالمية الكبرى.

وفي طبيعة العربية ما يعينها على هذا الصراع، فهي لغة اشتقاقية، وفي الاشتقاق ما يكسبها مرونة ومناعة في آن واحد، وعن طريقه يمكن أن نخلق ألفاظاً جديدة تنمي اللغة وتسد الحاجة، ومن الخير أن نتوسع به ما أمكن، فنفك بعض قيوده، ونشتق مما قيل إنه لا يُشتق منه.. وإن عز علينا أن نقيس أو أن نشتق، فلا بأس من أن نعرّب ونتبنى بعض الألفاظ الأجنبية، واللغات يأخذ بعضها عن بعض دائماً، أخذت قديماً ولا تزال تأخذ حديثاً، وما تأخذه ثروة مستحدثة تضاف إلى الثروة الموروثة، ولا نظن أحداً يرفض التعريب اليوم ما دامت تدعو إليه حاجة، وتقضي به ضرورة.

تلك هي بعض القضايا الكبرى التي عالجها الدكتور ابراهيم مدكور في كتبه ومقالاته وأبحاثه ومحاضراته، وقد كان الهمّ اللغوي شغله الشاغل وهاجسه الدائم للنهوض باللغة العربية ووضعها في مصاف اللغات العالمية الحية والمتطورة والأكثر تداولاً وانتشاراً.

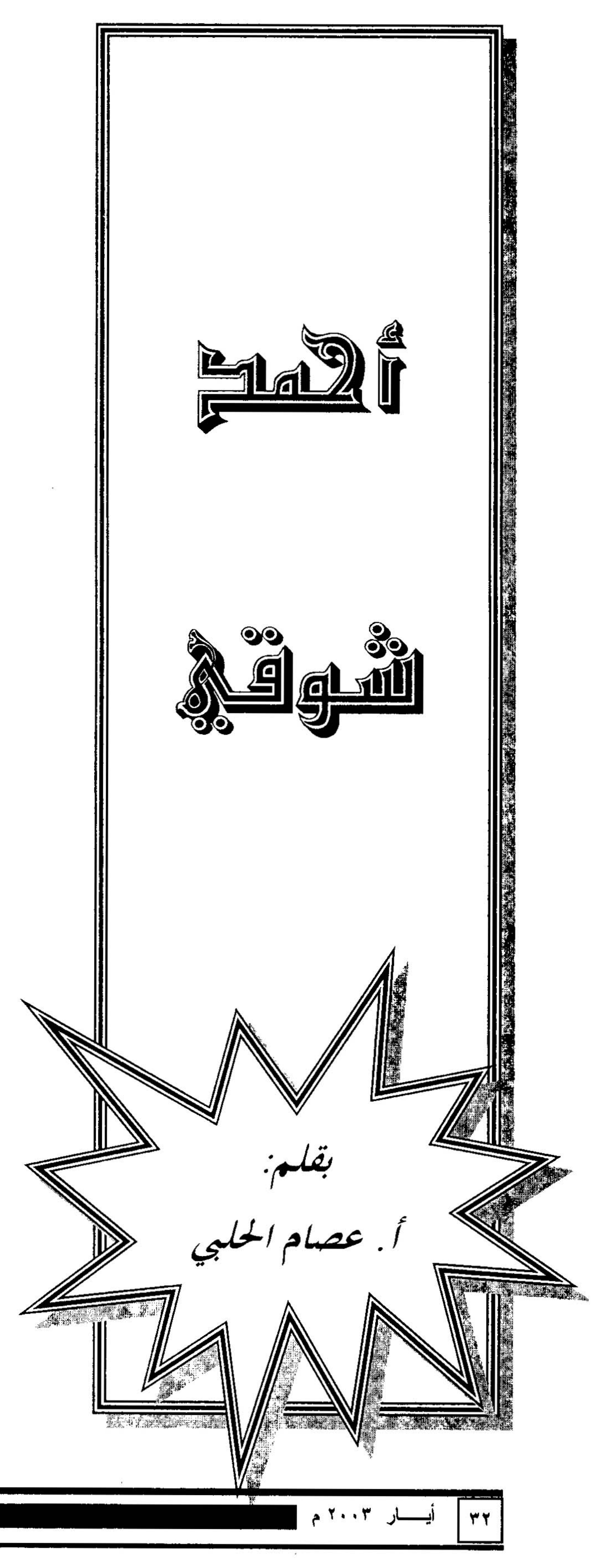



تحت المطر

شعر : د. سعاد الصباح

مـــــا لهـــــا الأيّـــــامُ تـــــبكي مـــــا لهـــــا
أهـــــيَ مثـــــلي ضـــــيَّعت آمالَهـــــا
عـــــاشَ قلـــــبي فـــــي سُـــــوَيعاتِ المُـــــنى
ثُـــــمَّ غشَّـــــاها أســـــىً فاغـــــتالَها
هـــــذه أيامُـــــنا تمضـــــي بـــــنا
وأنى باقيَـــــةٌ حيـــــثُ أنـــــا
انظِـــــمُ الشِـــــعرَ أشـــــدو لـــــلهوى
وأغـــــنِّي لِمـــــتاهاتِ المُـــــنى
وأنـــــا شـــــاعرةٌ ذاتُ خيـــــال
يَنشُـــــدُ الحُســـــنَ ويســـــتوحي الجَمـــــال
رُبَّمـــــا ألفيـــــتُهُ فـــــي وردة
فـــــي كـــــتابٍ فـــــيَ دُعـــــاءٍ فـــــي ابـــــتهال
وأنـــــا الـــــنجمةُ فـــــي أفـــــقٍ ســـــحيق
تفـــــتنُ الكـــــونَ بـــــلألاءِ الـــــبريق
هـــــل عَلِمـــــتُم مـــــن أســـــاها أنَّـــــني
أُرسِـــــلُ الـــــنورَ وفـــــي قلـــــبي حَـــــريق
أنـــــا وهـــــمٌ أنَ طيـــــفٌ مـــــن ســـــراب
أنـــــا ســـــرٌّ مُغـــــلَقٌ خـــــلفَ حِجـــــاب
مـــــلأَ الدَهـــــرُ شـــــبابي شَـــــجَناً
فكـــــأني لـــــم أعـــــش عهـــــدَ الشـــــباب
أمطريـــــني أمطريـــــني يـــــا سَـــــماء
وانظُريـــــني نحـــــنُ فـــــي الدمـــــعِ ســـــواء
وإذا شِـــــئت فكفّـــــي واتـــــركي
لفـــــؤادي ولعيـــــنيَّ الـــــبُكاء



هــذا هــو أحمد شوقي، شاعر مصر الكـبير وأميـر الشعراء هو الشاعر العبقري الـذي خلف وراءه تراثاً أدبياً كبيراً ومعيناً ثراً مـن القصـائد والأبيات الشعرية التي اتسمت بالقوة والجزالة والشاعرية والفن.

ولـد أحمـد شوقي في مدينة القاهرة المحروسة عام ١٨٦٨ ويرد أصله إلى الأكراد فالعـرب، قدم والده علي بك شوقي إلى مصر يافعـاً يحمل وصية من أحمد باشا الجزار إلى محمـد علي باشا والي مصر وكان جده أحمد شـوقي يحسـن كـتابة العربية والتركية خطاً وإنشـاءً، فأدخله الوالي في معيته كما تداولت الأيـام وتعاقـبت الـولاة الكـبار، وهو يتقلد المراتب والمناصب العليا في الدولة، وبعد وفاة هذا الجد، بدد والد شوقي ثروة جيدة في ميعة الصبا وعنفوان الشباب.

وجـده لوالدتـه أحمد بك حليم النجدة لي، نسبة إلى نجده إحدى قرى الأناضول، وفد هو بدوره إلى مصر فتياً فاستخدمه والي مصر إبـراهيم باشا ثم زوجه بمعتوقته (نمزار خانم) وأصلها من مورة (جزيرة يونانية) جلبت منها أسـيرة حـرب لا أسيرة شراء، وكانت رفيعة المنزلة عند مولاها وكان زوجها محبوباً عنده كذلك فمازال كليهما مغمورين بنعمة هذا البيت الكـريم إلى حيـن توفي جد شوقي لأمه وهو وكيـل الخاصة الخديوي إسماعيل باشا، فأمر بنقل مرتبه برمته إلى أرملته، من هنا تبين أن شوقي إذن عربي، تركي، يوناني، جركسي.

إذن كمـا قلـنا ولد أحمد شوقي عام ١٨٦٨، وقـد أخذتـه جدته لأمه من مهده إذ كـانت مـنعمة موسرة وكفلته لوالديه، وكانت تحنو عليه فوق حنوهما.

دخل في مكتب الشيخ صالح وهو في الـرابعة مـن عمره وشوقي يعتبر دخوله هذا المكـتب جـناية عـليه من أهله ثم انتقل إلى المدرسة المبتديان فالمدرسة التجهيزية، وكان

التلميذ الثاني لهذه المدرسة وهو في الخامسة عشرة.

وبعد ذلك رأى والده أن يدرس القوانين والشرائع فدخل مدرسة الحقوق وبقي فيها لمدة سنتين، ثم ارتأت الحكومة أن ينشأ في مدرسة الحقوق قسم للترجمة ويتخرج منه المترجمون الأكفاء، وقد نصحه مدير المدرسة أن يدخل هذا القسم ففعل وأقام به لمدة سنتين ثم منحته نظارة المعارف الشهادة النهائية في فن الترجمة.

بعد أن انتهى من مدرسة الحقوق والترجمة، اتصل بالخديوي عباس وأقام في خدمته ثم خيره الخديوي للسفر للتعلم في أوروبا وفيما يريده من العلوم، فاختار الحقوق لاعتقاده أنها نوع من أنواع الأدب، وأنه الأقدم في الحقوق لمن لا لسان له، فأشار عليه الأمير علي أن يجمع بين الحقوق وبين الآداب الفرنسية بقدر الإمكان، وهكذا سافر شوقي على نفقة الخديوي وركب البحر لأول مرة إلى مرسيليا، وقضى عامين في مونبيليه وعامين آخرين في باريس.

وفي عام ١٨٩٦، انتدبه الخديوي لتمثيله في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في مدينة جنيف في سويسرا، وقد أنشد في هذا المؤتمر قصيدته الهمزية الرائعة التي صور بها تاريخ بلاده مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد علي، وفي عام ١٨٩٧، زار الأستانة إثر إصابته برمد طال أمده، مكث في الأستانة إلى أن تعافى من الرمد. وبقي شوقي عظيم الصلة بالخديوي عباس شديد اللصوق به، فكان شاعره الخاص ينطق بلسانه وينفح عنه بقصائده.

وعندما نشبت الحرب العالمية، خلع الانكليز الخديوي عباس بسبب اتصاله بالعثمانيين وأبعدوا شوقي عن مصر ونفوه إلى بلاد الأندلس وأقام في برشلونة، يذكر أيام الأمويين فيها وآثارهم الخالدة حتى وضعت الحرب أوزارها وانتشر السلم في بلاد الشرق والغرب.

رجع شوقي إلى مصر عام ١٩١٩ فأقام بها بعيداً عن قصر عابدين (بلاط الملك) وانصرف إلى النظم والتأليف فأتى بالرائع من الشعر والفخم من النثر، فذاع صيته في البلاد العربية وتردد اسمه على كل الشفاه، فأقيم له سنة ١٩٢٧ مهرجان عظيم في دار الأوبرة الملكية بالقاهرة، اشترك فيه ممثلون لكل الأقطار العربية، وبويع بأمارة الشعر ولقب بـ (أمير الشعراء) فلم يعد بعدئذ شاعر مصر وحدها ولكن شاعر العربية وبلبلها الصداح، وعاش كذلك حتى مات سنة ١٩٣٢، فبكاه الشعر ورثاه الشعراء، ونظمت له وزارة المعارف المصرية حفلة تأبينية كبرى في الأربعين من وفاته، كما أقام (المجمع العلمي العربي) بدمشق حفلة تأبينية أخرى.

أخلاقه

نشأ شاعرنا أحمد شوقي في قصر الإمارة فتخلق بأخلاق رجال البلاط من سهولة في الطبع ودماثة في الخلق، فما عرف عنه فحش ولا إقذاع ولا لؤم، وإنما كان عفيف اللسان، كثير العفو عن إساءات خصومه - وما كان أكثر خصومه ومنافسيه - بسبب ما كان يتمتع به من رفيع منزلة لدى الخديوي عباس وإيثار وتقريب ولسبب ما بلغه من مكانة سامية بين شعراء مصر والأقطار العربي، ولطالما مر باللغو كريماً وبالحسد عظيماً فاستمع إلى قوله:

فلا حكمتي دعوى ولا منطقي هوى

ولا مبدئي لؤم ولا قلمي وغد

جعلت مديحي آية الود في الورى
فجاب به الدنيا وما انتقل الود
قواف لرب الشعر لا النظم طائل
إذا هي سارت في البلاد ولا النقد
يهذبها العلم الذي العلم بعضه
وهذا البيان الوحي والفطنة الوقد
أوانس أحياناً شوارد تارة
لها لعب آناً، وآناً لها جد

وكان إلى جانب ذلك يؤثر البعد عن المشاحنات التي من شأنها أن تجر بصاحبها إلى مواقف تخرج به عن حدود الأدب وصيانة اللسان من الشوائب وكل هذا كما ذكرنا إنما هو أثر من آثار تربيته الأولى التي تلقاها عن رجال (المعية) على أن لشوقي مباذل ولهواً أفرط فيهما وأكثر، وساعده على ذلك ما ثمر من مال وجمع من ثروة، فقد شيد قصراً، بالمطرية من ضواحي القاهرة، خصص منه جناحاً ذا حديقة جميلة جعله مسرحاً للهوه، ومنزلاً لصبابته، ومجمعاً لخلانه وندماه، وسماه (كرمة ابن هاني).

وقد تمتع من كرمته هذه بأطايب العيش ولذائذ الحياة، فكان فيها شرابه، وفيها طربه، وفيها عيشه، حتى ذاع خبرها وانتشر، فحج إليها الأدباء ونزلوا على صاحبها ضيفاناً يصيبون من خمرته، ويستمعون إلى غناء صديقه محمد عبد الوهاب، وينعمون بأحاديث شاعرنا وإنشاده فيترنحون من سكر، ويميلون من طرب، ويهتزون من سحر.

وكان ذا عقيدة دينية حسنة وإيمان قوي ظهراً في مدائحه لخليفة المسلمين سلطان الترك، ووطنية عربية فياضة جياشة، تمثلت في قصائده العديدة التي نظمها في مصر ودمشق وفيصل وسعد زغلول وغيرهم، وكان يدعو في شعره دائماً إلى قويم الأخلاق ورفيع الأداب كقوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد ذكر الدكتور هيكل في مقدمته للشوقيات: (إنه مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدس أخوة المسلمين، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تغيض عليه شؤونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه حكيم، يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها)).

ثقافته

حدثنا شوقي عند كلامه في تاريخ حياته، أنه دخل في مكتب الشيخ الصالح بالقاهرة في الرابعة، ثم انتقل إلى مدرسة المبتديان الابتدائية فالتجهيزية حيث أتم دراسته الثانوية بها في الخامسة عشرة من عمره، ثم التحق بمعهد الحقوق، فدرس الحقوق سنتين وانتسب إلى قسم الترجمة سنتين أخرين، حصل فيهما على إجازة في الترجمة، وارتحل بعد ئذ لفرنسا فأقام في مونبيليه سنتين يدرس الحقوق وسنتين في باريس يدرس الآداب، فهو بذلك تدرج في دراسته تدرجاً مرتباً بدأه بالدراسة الابتدائية فالثانوية والعالية، وقد تثقف ثلاث ثقافات مختلفة عربية وتركيه وفرنسية، فأفاد من هذه الثقافات فائدة ظهرت بوضوح في شعره وأدبه.

أما ثقافته العربية فتتمثل بنوعين من الثقافة: ثقافة لغوية، وثقافة تاريخية، وتبدوا ثقافته اللغوية (التي تلقاها عن شيخه حسين المرصفي والشيخ محمد البسيوني البيباني من علماء عصره المعدودين) فيما خلفه لنا من شعر ونثر، فهو فيهما قوي اللغة، متين

التراكيب، سلس قيادة القوافي، تنساق إليه الألفاظ والمفردات الرائعة من دون تكلف أو تصنع، هذا دليل على أن شوقياً كان واسع الإطلاع على قواعد اللغة وأشعارها وآدابها، حافظاً لكثير من آياتها وشواردها. وسنتوسع في ذلك حين تحليل آثاره.

وتبدو ثقافته التأريخية في قصائده المتعددة التي أشار فيها إلى حوادث كثيرة من التأريخ فهو في قصيدته التي أنشدها في مؤتمر المستشرقين بجنيف سنة ١٨٩٦ أتى إلى تاريخ مصر ومن تقلب على عروشها من فراعنة وملوك، وما مر بها من أحداث، وما أقيم بها من آثار، فكانت هذه القصيدة ملحمة لم يسبقه إليها أحد في العربية. ونجد في رواياته التمثيلية: مصرع كيلوباترة، ومجنون ليلى، وقمبيز، وأميرة الأندلس، وعنترة، ثقافة تاريخية واسعة، ومعرفة ناضجة.

وأما ثقافته التركية، فكانت ثقافة لازمة له لأنه نشأ في بطانة الخديوي الذي كانت له حاشية تركية آنئذ وإنه كان يقضي صيفه في الأستانة مركز أخلاقه، وكان يزور السلطان ويمدحه ويسامره ويحادثه ومن أجل ذلك ثقف اللغة التركية وآدابها وتاريخها ثقافة جيدة تقربه من السلطان وترفع منزلته لديه.

وأما ثقافته الفرنسية فهي ثقافة نهلها من منابعها في مونبيليه وباريس حيث أجاد اللغة الفرنسية ودرس آدابها دراسة مستفيضة وتأثر بأدبائها أعظم التأثر. فقلد لافونتين في منظومته التي نظمها للأطفال وحاكاه محاكاة وفق بها أعظم التوفيق واستمع إلى شاعرنا نفسه يحدثنا في مقدمته عن ذلك فيقول: ((جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهير وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليه شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظوماً قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من جلالها عل قدر عقولها)).

كما أنه تأثر بأسلوب الشعراء الفرنسيين وأدبائهم أمثال: لامارتين وهيغو وموسيه وغيرهم من أعلام الأدب والشعر، فقد ترجم قصيدة (البحرة) أجود شعر لامارتين نظماً وأرسلها إلى الخديوي عباس، ولكنها فقدت وضاعت. كما أنه حاكى قصائد هيغو التي جمعت في ديوانه (أساطير القرون) وأنت إذا قبلت النظر في ديوانه وجدت أثراً عظيماً لثقافته الفرنسية أمثال قصيدته التي يذكر فيها حياته الحلوة في باريس:

يا غاب بوبون ولي   ذمم عليك ولي عهود

وقصيدته في "أنس الوجود" التي قدمها إلى رئيس الولايات المتحدة (روزفلت) وأولها:

أيها المنتحي بأسوان داراً
كالثريا تريد أن تنقضا

وقصيدته (توت عنخ آمون وحضارة عصره) وغيرها من القصائد التي يظهر فيها أثر الثقافة الغربية.

أدبه

لم يكن شوقي شاعراً رائع النظم، ساحر اللفظ، بديع التصاوير، حلو المعاني فحسب وإنما كان كاتباً مجيد التعبير عن أفكاره وخواطره بأسلوب فخم وتراكيب متينة. على أننا لا ننكر أن شوقياً حلق في الشعر تحليقاً أبعد غاية من تحليقه في النثر، لأنه صرف جهده إليه وبذل عنايته فيه.




عواصف الصحراء

شعر : عبد المجيد التجار

قُلْ لي بربِّك ما للإخوةِ العرَبِ
كأنَّما انقلبوا رأساً على عَقِبِ!!
ومَنْ يُبَرِّرُ صمتاً غيرَ مُرْتَقَبِ
والمعتدي شنَّها حَرْباً بلا سببِ؟
ماذا يُقالُ لنا والحقُّ مُغتصبٌ
مِنْ مُعْتَدٍ غاشِمٍ مِن ثعلبٍ كَلِبِ
كأنَّ أوراقَنا يا إخوتي اختلطتْ
وبعضُها لم يَغْدْ يخلو منَ الرِّيَبِ
كأنَّ أسماعَنا صُمَّتْ وأعيُننا
كأنها لم ترَ النيرانَ كالشُّهبِ
نعيشُ مأساةَ جيرانٍ لنا قُصِفوا
مِنَ العدوِّ ببُركانٍ مِنَ اللَّهَبِ
ولم نُبالِ بما يجري لإخوتَنا
وإن سُئِلْنا تهرَّبْنا ولم نُجِبِ
ضاقَ الزَّمانُ بصمتٍ لا مثيلَ له
كأنَّما قد تبرَّأنا مِنَ النَّسَبِ

* * *

حُشودُهُمْ دنَّسَتْ أرض العراقِ فهل
ثُبْنا إلى رُشْدِنا أم بَعْدُ لم نَثُبِ؟
في البرِّ في البحرِ نيرانٌ مُسَعَّرةٌ
والرَّاجماتُ اعتدتْ حتَّى على السُّحُبِ






وفـــي رحـــابِ طَهـــور الأرض قـــد شَـــربوا
أنخـــابَ عُدوانهـــم بالّـــلهوِ و الطَّـــرَبِ
فالمعــــتدون اســــتغلّوا اليـــومَ فُرقَتَـــنا
حـــتى اســـتخفّتْ بـــنا حمّالـــةُ الحَطَـــبِ (١)
والعِقْـــدُ فـــي جيدهـــا "بـــوشٌ" يُداعِـــبُهُ
يـــا ويـــلَ شَـــعبٍ يُولّـــيَ أمـــرَهُ لِصَـــبي
يـــا ربَّ عيســـى وربَّ المصـــطفى أتُـــرى
هـــل يشـــهدُ العُـــرْبُ يومـــاً وَحـــدة العـــرَبِ؟
آراؤنـــا اختـــلفتْ أوراقُـــنا اختـــلطتْ
مَـــنْ ذا يُـــلامُ إذا مـــا صـــاح واعجـــبي!

* * *

دنيـــا الجـــوارِ أمـــا آنَ الأوانُ لهـــا
أن تـــنفُضَ الغِـــلَّ عـــن أثوابِهـــا القُشُـــبِ؟
أيّـــامَ محْنَـــتِها مـــا كـــانَ أســـرَعَها
دُنْيـــا العُـــروبةِ إنجـــاداً لمُغْتصَـــبِ
فلتصـــفحِ اليـــومَ عـــن أخطـــاءِ جارتهـــا
فالصـــفحُ يُطـــفئُ نـــارَ الكُـــرهِ والغضـــبِ
يـــا قـــادةَ العُـــرْبِ خَـــلُّوا الخُـــلْفَ ناحيَـــةً
لـــولا تفرُّقُـــنا فَـــالذِّئبُ لـــم يـــثِبِ
مـــا للسّـــيوفِ سُـــيوفِ العُـــرْبِ مُغْمَـــدَةً
كـــانت حديـــداً فهـــل آلـــت إلى الخشـــبِ؟
كـــم يُظْـــلَمُ الســـيفُ فـــي أيـــدٍ يُفـــرِّقُها
أيـــدي سَـــبا كُـــلُّ صَـــبٍّ بـــالعدوِّ غَـــبي
كـــان الجُـــدودُ مِـــثالاً فـــي مواقفِهِـــمْ
ومِـــنهُمُ كُـــلُّ صِـــنديدٍ وكـــلُّ أبـــيّ
وذِكْـــرُهُمْ لـــم يَـــزَلْ بالعَـــزْمِ يَـــرْفُدُنا
حيّـــاً قَويّـــاً عـــلى الأزمـــانِ والحِقَـــبِ







(فالسَّبْعُ سَبْعٌ ولو كَلَّتْ مخالبُهُ)
وطيْفُهُ عنِ عرينِ الأُسْدِ لم يَغِبِ
إنْ يَرفعِ الصَّوتَ من بَغدادَ مُكْتَئِبٌ
فَسَبْعُ جِلّقَ زأَّرٌ لمكتئبِ
وما دعا الشَّعبُ منْ بغدادَ إخوتَهُ
إلاَّ وكانوا لهُ عوْناً على النُّوَبِ
مِنْ كل شبرٍ منَ القُطرِ الشَّقيقِ أتَوا
لعَونِ إخوتهم منْ حِمْصَ من حلبِ
يحمونَ هذا الحِمى ممن بهِ طَمعوا
كم طامعٍ صُدَّ مَهزوماً على عَقِبِ
تبَّتْ يدا حاقدٍ تبَّتْ يداهُ وما
كانت يداهُ سوى أيدي أبي لهَبِ
لسوفَ يَشْربُ كأسَ الموتِ مُترعةً
ثأراً لأمٍّ وأبناءٍ قَضَوْا وأبِ
وكان ما كان منْ تَكرارِ هجمتهِمْ
على العراق كذئبٍ ظامئٍ سَغِبِ
مِنْ حاقدٍ أنكرَ الدنيا وخاطبَها
منْ بيته الأسْوَدِ المشحونِ بالكَذِبِ
تبّاً لبَيْتٍ على أركانه خَفَقَتْ
حُمْرُ المَناديلِ في جوٍّ مِنَ اللُّعُبِ(٢)
فالعارُ جلَّلَهُ والخِزيُ جَرَّدَهُ
منَ المروءةِ والأخلاقِ والأدب
ما المجدُ آلةَ حَرْبٍ أنت تَشْحَذُها
يا ويحَ شَعْبٍ يُوليِّ شَرَّ مُنتخبِ
سيغرُبُ المجدُ عمَّن لا خلاقَ لهمْ
ما أشرقَ المجدُ إلاَّ منْ دُنا العربِ
هذي حضارتُهُم ما كان أكذَبَها
فحِصْرِمُ الكَرْمِ لا يُغني عنِ العنَبِ






حســـبي مِـــنَ الـــلَّوم أنْ دَنَّسْـــتُ قافِيــــتي
فَذِكــرُهُمْ حَـــطٌّ مِـــنْ شِـــعري ومِـــنْ أدَبـــي
لكـــنَّ صَـــمْتَ امْـــرِئٍ عَـــن ذِكـــرِ مَـــنْ فَسَـــدوا
وأفسَـــدوا لَهْـــوَ صَـــمْتُ الـــتابع الذَّنَـــبِ
يـــا مَـــنْ يَـــرومُ احـــتلالَ الأرض مُغْتَصِـــباً
إنَّـــا لنجعَـــلُها قَـــبْراً لِمُغْتَصِـــبِ
بعـــزْمِ شَـــعْبٍ أبِـــيٍّ لا يـــنامُ عَـــلى
ضَـــيمْ وجيـــشٍ قَـــوِيٍّ قاهِـــرٍ لَجِـــبِ
يقـــودُهُ مـــنحةُ الأجيـــالِ قائدُنـــا
ومُـــنْقِذُ العُـــرْبِ "بشَّـــارُ" ابـــن خيـــرِ أبِ
يحمـــي العـــرينَ ويـــرعى عهـــدَ مَـــنْ سَـــلَفوا
فهـــوَ الأصـــيلُ ســـليلُ السَّـــادةِ الـــنُّجُبِ
عَـــزْمُ الشَّـــبابِ لـــه عُمْـــرٌ يَميـــسُ بـــه
وعَـــزْمُ "بَشَّـــار" ميَّـــاسٌ عَـــلى الحِقَـــبِ
للسِّـــلْمِ تَجْـــنَحُ يـــا "بشَّـــارُ" إنْ جَـــنَحوا
وإن أبَـــوْ كُـــنتَ مغـــواراً ولـــم تَهَـــبِ
فـــأنت سِـــرٌّ أبٍ قـــادَ الـــبلادَ إلى
تصـــحيحِها وإلى الـــتَّحرير عَـــنْ كَـــثَبِ
وكـــان مـــا كـــان مِـــنْ تدعيـــمِ ثورَتِـــنا
آذارِ ضِـــدٌّ انفصـــالٍ غيـــرِ مُـــرتَغَبِ
مهمـــا يَطُـــلْ ليلُـــنا فالصُّـــبْحُ مُنْبَـــلِجٌ
كَـــم طـــالَ ليـــلٌ وعـــانى مـــنه خَيـــرُ نـــبي
إنْ عـــاهدوا نقضـــوا أو حدَّثـــوا كذبـــوا
لا يَـــركعونَ ســـوى للأصـــفرِ الذَّهَـــبِ
حِوارُهُـــمْ كُـــلُّهُ مكْـــرٌ وتغطيـــةٌ
(والسَّـــيفُ أصـــدقُ إنـــباءً مـــن الكُـــتُبِ)
مقولـــةٌ لأبِـــي تمـــام خـــالدةٌ
(فـــي حَـــدِّه الحـــدُّ بيـــنَ الجِـــدِّ والـــلّعِبِ)




سيَشْرَبُ المُعْتدي كأسَ المنونِ ومنْ
سُيوف شَعب على حُبِّ الفِداء رُبي
وينتهي العِلْجُ مِنْ بَغْيٍ وغَطْرَسَة
ومن تعالٍ ومِنْ حِقْدٍ ومن كَذِبِ

* * *

هذي خواطِرُ إنسانٍ يُشَرِّفُهُ
أنْ يَنْقُدَ الذَّاتَ نَقْدَ المُنْصِفِ الأرِبِ(٣)
وإنَّ مَن ظَنَّ أنَّ الصَّمْتَ عن خطأ
هُوَ الصَّوابُ فقد أخطا ولم يُصِبِ
كرامةُ المرءِ في دُنياهُ مَوْطِنُهُ
فَصُنْهُ بالنَّفْسِ والأبناءِ والنَّشَبِ
واحرِصْ عليه بإيمانٍ ومُعْتَقَدٍ
وجُدْ عليه بمَوروثٍ ومُكْتَسَبِ
وادفَعْ مِنَ الشَّرِّ ما تسطيعُ عن وطنٍ
لهُ عليكَ حقوقُ الجارِ والحَسَبِ
وما تجاهلْتَ جاراً يومَ محنته
إلاَّ وبالعَتْبِ قد أُمْطِرْتَ والغَضَبِ
فلا يسومُكَ(٤) عَتْباً غَيْرُ مَنْ صَدَقَتْ
صِلاتُهُ بكَ فاستقبِلْهُ بالحَبَبِ
وَصِلْ أخاكَ وكُنْ عَوْناً له أبداً
يَكُنْ لعينيكَ كالأجفانِ والهُدُبِ

١- مستشارة بوش للأمن القومي (كونتاليزا)
٢- اللُّغُب: الفساد والنَّجَس.
٣- الأرب: العاقل
٤- قال ابن الرومي:
وأنا المرءُ لا أسومُ عِتابي   صاحباً غير صَفْوَةَ الأصفياءِ






في دمشق التقيته، شاباً وسيماً، متنوراً متحرراً، مثقفاً مفكراً، جاء إلى معرض الكتاب لينهل مما تكدّس في مئآت أجنحته، ويغترف من معينها ما يناسبه. لا أبالغ إذا قلت: إنه يحمل الكتب في يديه وعلى كتفه، وعلى رأسه، وفي عينيه وقلبه، متعب من حمل الكتب، لكنه يبتسم إبتسامة تخفي في ثناياها الأمل بالمستقبل.

اقترب مني قائلاً: أنت مؤلف هذا الكتاب؟!

قلت: نعم.

قال بلهجة فصحى تشوبها بداوة المشارقة: من أيِ البلاد أنت؟

قلت: من سورية.

ووضع يده على صدره قائلاً: أنا من الجزائر.

قلت: أهلاً وسهلاً.

قال: هل تسمع لي أن أجلس معك كي أبثَّ لك شيئاً من همومي؟

قلت: تفضل يا أخي، وأرجو أن تحدثني عن الجزائر، وما يجري فيها من أحداث، وأن تصف لي الحياة اليومية فيها.

ابتسم وقال: الجزائر دولة عربية مسلمة، شعبها من القبائل العربية التي دخلت المنطقة أيام الفتح العربي الإسلامي. منها عبرت الجيوش الإسلامية إلى المغرب، لتعبر إلى الأندلس، وفيها عسكر عقبة بن نافع، وسار على ترابها صقر قريش، ومن سواحلها انطلقت السفن الإسلامية لتجعل من جميع الجزائر البحرية جزراً عربية إسلامية، ولا تزال مقابرها وقلاعها تنطق الحرف العربي، ولا تزال تقاليدها ترفع ذراعها لتقاليد الشرق ملوّحة قائلة: أيها العرب. أنسيتم أيام صقلية وسردينية وجزر المليبار، نحن لا تزال في عروقنا دماء العرب، وفي حياتنا أخلاق

المسلمين الأوائل، فما بالكم نسيتم أيامنا الغابرة؟!!

قلت: حدثني عن واقع الجزائر، ولا تعدد لي مفاخر الأجداد فتعيد في قلبي أحزاناً جديدة، وآلاماً مريرة.

قال: نحن عرفنا الجزائر بالإسلام، هو هُويَّتُنا، وهو ديننا الذي ندين به، ومنه أخذنا عاداتنا وتقاليدنا، وفيه وجدنا ضالَّتنا المنشودة، عملنا به فحافظنا على وطننا، وغزانا المستعمرون منذ ثلاثة قرون، فأرادوا استئصاله، فصمدنا، وقاومناه به، وقام عبد القادر الجزائري فسرنا خلفه، وعاث الفرنسيون في بلادنا أكثر من قرن وربع القرن فعجزوا عن تغيير مسارنا، وجاءت جبهة التحرير فقاتلنا في صفوفها، واستقلت بلادنا، وخرج المستعمر من الباب، فدخل تلاميذه من النافذة، وها هم الآن يعيثون في بلادنا فساداً، فتارة يحيون لنا الأمازيغية التي قبِرت منذ قرون خالية، وتارة يبعثون لنا البربرية من رقادها، وتارة يتشدقون بالديمقراطية التي يرونها مناسبة لمصالحهم، إلى غير ذلك مما أصبح مكشوفاً ومفضوحاً لدى المقهورين من أبناء وطننا وأمتنا، وإنني أريد أن أبث لك همومي عسى أن يقرأ العرب عنها شيئاً، ويعيشوا معاناتنا، ولكن قبل أن أنثر لك مما في جعبتي أرجو أن تحدثني عن دمشق والشام، فإنني أحبها وأحب صفحاتها المشرقة، وتاريخها الحافل العريق.

قلت: أنا من أكبر مدينة في وادي الفرات اسمها دير الزور.

لكنني أعتبر نفسي من نزلاء دمشق، ومن محبي دمشق، وعشّاق دمشق التي أطمع أن ترحب بي وتجعلني أحد أبنائها البررة.

دمشق التي تعتز بانتمائها إلى بني أمية الذين بنوا أول دولة عربية قومية في الإسلام، وكان فيها عرش أول ملك عربي تربّع عليه في قصر الخضراء، ومنها كانت تنطلق جحافل الفاتحين لتحاصر القسطنطينية، أو لتفتح جزر بحر الشام واحدة واحدة. أو لتطرق أبواب الهند والسند شرقاً على صهوة جواد عربي يمتطيه شاب لم ينبت الشعر بوجهه، أو لتحمل هموم أمة مزّقها الخلاف فيخرج الرجل منها متخفياً إلى فلسطين ومصر والمغرب، ثم يعبر ذلك المضيق الصغير ليصل إلى الأندلس فيقيم دولة عربية إسلامية بقيت في أوربا ثمانية قرون ثم غابت شمسها حين تمزق صف الأمراء، وتشتت شمل الخلفاء، واختلف فيما بينهم السلاطين، وتوارث فيها الممالك حكام حديثو الأسنان، سفهاء الأحلام، لا يعملون لأكثر من بقائهم على العروش، وزيادة الأموال في صناديق الحديد والجيوب، ولو كانت على كرامة شعبهم، ووحدة بلادهم، بنو جهور، وبنو حمود، وبنو زيّان، وآخر من يخرج من الأندلس أمير صغير يبكي على دولة واسعة أصبحت مضرب المثل في الحضارة والمدنيّة في عصرها، وصارت أنموذج الدولة العربية مستقبلاً، خرج هذا الرجل يبكي وأمه تقرّعه بهذه الكلمات:

"يا ولدي إبك كما تبكي النساء على مُلْك لم تحافظ عليه الرجال"، ثم يقرعه جنود الفرِنجة بالعصا ليهرول عائداً من حيث أتى إلى الشاطئ المغربي في طنجة، تاركاً جبل طارق لقوم لا يعرفون العروبة محتداً، ولا الإسلام ديناً.

في هذه المدينة دمشق التي أحبها كثيراً، وأعشق كل زاوية من زواياها، وكل قصر من قصورها الغامرة، لا أتردد كلما سنحت لي الفرصة من الوقوف بين يدي نور الدين الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، ومسجدها الجامع الكبير الذي

أقرأ بين جدرانه لمسات أمم ودول وجيوش نزلت فيه وعسكرت بجانبه، وركعت لله في محاريبه، أو حزمت أمتعتها ورحلت، إذ لم تجد لها في دمشق مستقراً، ولم تجد لها في الشام راحة ولو ساعة واحدة.

لذلك وقف أحدهم على ربوة يودع سوريا قائلاً: "السلام عليك يا سورية سلام لا لقاء بعده. إن خالد بن الوليد لم يدع لنا البقاء فيها".

ووقف الآخر وهو يضع رجله في السفينة مودعاً برَّ الشام ليعود إلى أوربا قائلاً: "وداعاً يا قدس الأقداس، إن صلاح الدين وحّد بلاده فقهرنا، فنحن عائدون من حيث جئنا" .

ووقف الثالث يفتل شاربيه الطويلين، ويرطن في لهجة مغولية قلقة: "لقد جئنا لنهدم الممالك الإسلامية التي وصلت جيوشها إلى بلادنا منشوريا وسواحل البحر الأسود وبحر قزوين فكُسرت شوكتنا على مشارف دمشق، في معركة عين جالوت التي سحق فيها الظاهر بيبرس فلول المغول فعادت جيوشنا منهزمة متقهقرة من حيث أتت".

في دمشق اهتز عرش جمال باشا السفاح فراح ينصب المشانق لتكون أراجيح شرف وفخار لعشرات الشهداء، ويُلحقها بمشانق أخرى في بيروت، ليقمع كل فكر مناوئ له في بلاد الشام، ويجعل فيها سناجق تركع لمتأخري بني عثمان الذي أساؤا لجيرانهم العرب أكثر، نكَّلوا بخصومهم الفرنجة.

في دمشق كان لقاء المجاهدين الشرفاء مع الفرنسيين والمرتزقة من جنود غورو الذي أقسم أن يركل بقدمه ضريح صلاح الدين الأيوبي بعد أن صرع بجحافل جيوشه ودباباته المجاهدين في سهل ميسلون، وجعل من القائد يوسف العظمة رمزاً للتضحية والذود عن تراب الوطن.

ابتسم صاحبي وقال: عدونا واحد قديماً وحديثاً، وترابنا وترابكم واحد، ونحن وأنتم شعب واحد، ولكن متى وكيف نعود إلى سالف أيامنا التي نفخر بها ونعتز؟!!

قلت: إذا عاد العرب إلى مقومات أمتهم، والتمسك بأهداب دينهم، ومسايرة العصر الذي يعيشون فيه، ونبذ سفاسف الآخرين المستوردة، فإنهم سيبدأون أول خطوة في العودة لاستلام زمام أنفسهم وقيادة غيرهم، وعندها ستكون مخاطر في الداخل والخارج، لكن ستكون النتيجة مشرفة للعرب، لأنّهم سيلوِّحون للعالم بأيديهم من جديد لإنقاذ البشرية، وسيبنون لذلك حضارة تفوق حضارة الأندلس، ويتركون تراثاً خالداً أفضل مما كتب الجاحظ وابن عبد ربه الأندلسي، والقيرواني، وابن منظور.

ابتسم صاحبي وقال: نحن بانتظار ذلك اليوم.

قلت: ذلك اليوم قادم لا ريب فيه، لعله يكون غداً، وغداً في التاريخ قد يمتد يوماً، وقد يطول عاماً وقروناً، المهم يا صاحبي أن نعود كما كنا، ندخل قلوب البشر مهابة، ونملأ عيونهم محبة، ونكون ابتسامة على ثغر كل إنسان، ونغير من ذاكرة البشرية تلك الصورة التي توصل لها الإنسان العربي في القرن الواحد والعشرين.

قال صاحبي: الآن جاء دوري لأبث لك همومي.

وقاطعته على عجل قائلاً: لا تبث لي همومك، فهي هموم العرب جميعاً، ولا تزد في همومنا، فكفانا يا صديقي همهمة، وكفانا يا صديقي طمطمة.

وذهب ملوّحاً بيده التي لا تحمل الكتب مبتسماً على أمل اللقاء..




من عبق الماضي

شعر : وداد طويل عبد النور

مـــن شُـــرفةِ المجـــد فـــي تـــاريخِ أوطـــاني
هـــبَّتْ نســـائمُ أجـــدادي وخلاَّنـــي
أشـــرعتُ قلـــبيَ إيذانـــاً لهاطـــلةٍ
يـــا ألـــفَ كـــرْمٍ تـــندَّى فـــوقَ أغصـــاني
زَهَـــوْتُ حـــتَّى يكـــادُ الـــزَهْوُ يحملُـــني
إلى مـــرابعِ مـــن دُرٍّ ومَـــرْجانِ
لـــولا الكواكـــبُ فـــي كفَّيْـــكَ يـــا وطـــني
مـــا مـــرَّ عـــبقرُ مـــن قُـــربي وحيَّـــاني

* * *

مَـــنْ جـــاوزَ الشـــمسَ إشـــراقاً ومعـــرِفةً؟
غيـــرَ الأوائـــلِ مـــنْ نجـــدٍ وغسَّـــانِ
مـــن رسَّـــخَ القيَـــمَ الســـمْحاءَ فـــي خَـــلَدي
حـــتَّى اســـتقرَّتْ طُـــوى جُـــنحي ووِجدانـــي







هـــنا الرســـالاتُ قـــد عمَّـــتْ بشـــائرُها

صـــوتُ الســماءِ بـــإنجيلٍ وقـــرآنِ

هـــنا الحضـــارةُ قـــد أرسَـــتْ مراكـــبَها

يـــا أُمَـــةً أبدعـــتْ فـــي كُـــلِّ ميـــدانِ

همـــو جُـــدودي عـــلى الجـــوزاء قـــد نصـــبوا

أقـــواسَ نصـــرٍ لآســـادٍ وفُرســـانِ

أكـــادُ ألمـــحُ عـــبْرَ الـــبيدِ خيـــلَهُمُ

إعصـــارَ شـــوقٍ إلى عـــزٍ وسُـــلطانِ

شـــاخَ الـــزمانُ ومـــا شـــاخَتْ مآثـــرهُمْ

تُعطِّـــرُ الكـــونَ مـــن أزْمـــانِ أزمـــانِ

* * *

لا غـــابَ مجـــدُكَ فـــي العـــلياءِ يـــا وطـــني

هَـــلْ غيـــرُ مجـــدِكَ رايـــاتي وعُـــنواني؟

وَسَّـــدْتُ رأســـي عـــلى الأعـــتابِ فـــي شَـــغَفٍ

فاخضـــلَّ أَمْـــنٌ وريحـــانٌ بِبُســـتاني

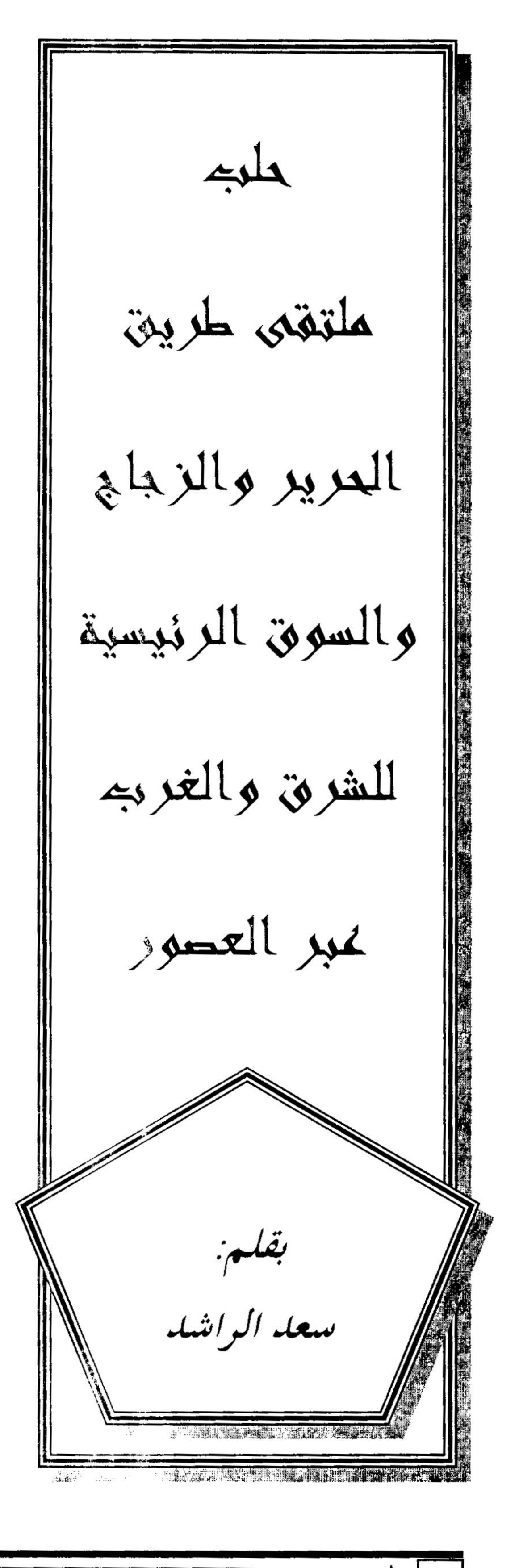
هيهـــاتَ يَـــلْقى سِـــواكَ القـــلبُ مُـــتَّكَأً

زارَ الـــرقادُ بُعَيْـــدَ الهجـــرِ أجفـــاني

لـــو تبـــتغي الـــروحَ زهـــرَ القـــلبِ أَجْدِلُـــهُ

إكـــليلَ غـــارٍ تـــروَّى بـــالدمِ القـــاني



ضمن النشاطات الثقافية لجمعية العاديات بحلب أقيمت محاضرة للباحث الموسوعي عامر رشيد مبيض تحدث فيها عن الصناعة والتجارة في مدينة حلب عبر العصور، والباحث عامر رشيد مبيض كاتب وصحفي ولد في مدينة حلب وأحبها وقدّم لها العمل الدؤوب دون تعب لما من شأنه دفع عجلة الثقافة والمعرفة، فهو يقوم بإعداد موسوعة ضخمة عن تاريخ وإعلام حلب بعد أن أنهى موسوعته الثقافية السياسية الاقتصادية بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الثقافية والأدبية والشعرية مما يؤكد أصالة الموهبة وغزارة الإبداع عنده..

حلب مجد الزمان، يضاف إليه مجد البطولة، بطولة كل ثغر قام على الحدود، ثم يضاف إليه مجد الثراء الذي فرضه أنها محط قوافل الشرق والغرب..

قال جاك سواري دي تروسلون سنة ١٧٢٣م، أن حلب لا تضاهيها بلدة في تجارتها وبالتجار الذين يقصدونها من تكرار الممارسة والمداولة ولذا أصبح العمل التجاري لديهم من الأعمال الأولية في هذه المدينة التي كانت قبلة التجار.

فحلب كانت موطناً لعدد من الصناعات ذات الشهرة الواسعة في العالم، أولها صناعة النسيج، التي عرفت منسوجاتها المصنوعة من الصوف والكتان والمصبوغة بألوان مختلفة في إيبلا ويمحاض.

حلب ملتقى طرق الحرير والزجاج

ولقد أدى موقع حلب الرابط بين البحر المتوسط والفرات دوراً رئيسياً في حياة

التجارة في ذلك العصر. وتعد حلب منطقة عبور بالنسبة لماري، حيث يمر عبر مخازنها "نحاس الجبال" وفضلاً عن ذلك فقد دعت شهرة الزجاج الحلبي إلى تسمية طريق الحرير بطريق الزجاج من قبل عدد من الباحثين اليابانيين لأن القوافل العائدة من سورية إلى اليابان والصين كانت تحمل معها الزجاج الحلبي..

تجارة حلب مع الفراعنة

وعلى قبر النيل المصري خنموتب ١٩٥٠ ق.م، رأى علماء الآثار رسماً يمثل سبعة وثلاثين شخصاً، وهم تجار سوريون يحملون الهدايا الفاخرة والطيب والعطور، كلهم مرتدون الملابس الحريرية الفاخرة المصنوعة التي اشتهرت بصناعتها حلب..

وتشهد النقوش الهيروغليفية من عهد رمسيس الثاني أن حلب كانت بلدة عامرة شاهدها جماعة من المصريين وسموها خلبوا.

وفي عهد الرومان من عام ٩٥- ٦٤ ق.م ، كان الأقمشة الحلبية فضلاً عن زيت الزيتون والصابون تملأ أسواق أوروبا. فعندما كانت حلب إحدى أهم المراكز الرئيسية لصناعة الحرير في أيام البيزنطيين كان التاجر الحلبي في هذه المدينة يصدّر الحرير من حلب إلى العديد من دول العالم فضلاً عن منتجات الشرق الأدنى.

شهرة زجاج حلب في الامبراطورية البيزنطية

ومنذ القرن التاسع الميلادي شهدت حلب تقدماً في صناعة الزجاج، ومما يؤيد شهرة حلب لصناعة الزجاج قول أحد التجار: "أريد أن أحمل الكبريت من إيران إلى الصين ومن هناك آخذ الخزف الحلبي إلى اليمن" وقد تحدث القزويني عن حلب في كتابه آثار البلاد: "إن من عجائبها سوق الزجاج الذي لا يستطيع الإنسان مفارقته لكثرة ما يشاهد فيه من الطرائف والآلات اللطيفة التي تحمل إلى سائر البلاد والتحف والهدايا وكذلك سوق المزوقين فيها آلات عجيبة مزوّقة".

تجارة البنادقة مع حلب الأيوبية

وكانت لحلب بالنسبة إلى أمم الغرب كافة جاذبية خاصة، وكان التجار الأوربيون يجدون في حلب منتجات الشرق على وجه التقريب، وكانت حلب سوق الحراير الكبير.

فمنذ عام ١٢٠٧م، وصل سفير من البندقية إلى بلاط ملك حلب الأيوبي غياث الدين الظاهر ليقم مع اتفاقية تجارية وقد حصلت البندقية بمقتضى هذه المعاهدة في مدينة حلب على فندق وحمام وكنيسة. وضمن ملك حلب من يأتي منهم للإقامة عدم المساس بثرواتهم. وتميزت حلب في العصور الوسطى بثرائها الهائل وعمرت بالأسواق الواسعة والقياصر والحمامات، ودأب التجار على جلب مختلف الحاصلات إليها وظلت محتفظة بأهميتها التجارية العالمية.

وفي العصر المملوكي برزت في حلب مجموعة من الصناعات للتصدير منها صناعة النسيج وكان إقبال الأوروبيين على النسيج الحلبي كبيراً جداً، وكان التجار الحلبيون يصدرون منه كميات كبيرة إلى أوروبا. فقد قال المستشرق بوغو: "إن تصدير الأقمشة

الثميـنة إلى أوروبا كان من حلب وكان إذ ذاك محصـوراً بهـا". وفضـلاً عن ذلك فإن أكثر القوافـل الـتجارية القادمة من آسيا كانت تمر بحلب حتى إن ابن الشحنة يذكر في هذا المجال بأنه: "إذا حضر إلى حلب مئة جمل حرير، فإنه يـباع في يوم واحد، ويقبض ثمنه، ولو حضر إلى القاهـرة التي هي أم البلاد عشرة جمال لا تباع في شهر وعلى هذا فقس".

صناعة الابر في حلب المملوكية

وفـي الفـترة المملـوكية صـدرت حـلب إلى أوروبـا بـآلات القطـن والحرير الخـام والمنسـوجات الفاخرة وجلد الحيوانات والصـوف وغيـرها.. كذلـك وجـدت فـي حـلب صـناعات حديديـة مـثل المسـامير والأبـواب الحديديـة وقـد ذكـر الحنبلي أن حلب صنعت الإبر وقال إنه وجد في حلب خاناً لبيع الإبر..

حلب قبلة التجار الأوروبيين

وابـتداءً من منتصف القرن السادس عشر كان التجار الأوروبيون يفضلون التوجه إلى حـلب ولهـذا أصبحت أسواق حلب أنشط وأغـنى مـن أي مديـنة من مدن العالم حتى أصـبح اسمها على كل لسان في أوربا والهند وأصبحت تدعى على ألسنة تجار العالم "السوق الرئيسية لكل الشرق".

وعـلى الـرغم مـن كـثرة الخانات والقيسـاريات فـإن حـلب كانت تضيق أحياناً بـزوارها مـن الـتجار الأوروبيين وهكذا فإن وجود الجاليات بكثافة في حلب هو في الحقيقة مظهر من مظاهر التجارة الخارجية لبلاد الشام قاطبة..

غرفة تجارة حلب الأولى في الوطن العربي

وتعـد غـرفة تجارة حلب أول غرفة للتجارة في الوطن العربي، وهي الغرفة الثانية في الشرق الأوسط بعد استنبول.. فقد تأسست في عام ١٨٨٥م وقد تعاقب على غرفة تجارة وجهـاء حلب وكبار رجالاتها المهتمين بالعلوم والآداب والـتاريخ. منهم أحمد السباعي وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد سعيد الزعيم..

ومـن كـبار تجار حلب العالميين في القـرن العشـرين محمد نجيب باقي زاده الذي استطاع أن يؤسس أول محل تجاري لاستيراد المعـدات الزراعية والصناعية والكهربائية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك عام ١٩١٢ وقد مـثل سـورية أحسـن تمـثيل لـدى جميـع المؤسسـات الاقتصـادية فـي العـالم العربي وأوروبا..

أمـا رجل الأعمال والصناعي والوزير وهـبي الحريـري فقـد وصفه راديو القاهرة وراديو لندن وراديو واشنطن بالصناعي الأول فـي الشـرق الأوسط، فراح كثير من أصحاب المصـانع فـي اوروبا وأمريكا يعرضون عليه وكـالات ضـخمة، وقـد أسس ثلاثة مصانع ضخمة في حلب الأول للنسيج والثاني للخيوط والـثالث للصـابون، وقد أغرق أسواق العالم بهذه الصناعات..

وتعد السيدة متيلد سالم زوجة الوجيه ورجـل الأعمـال أول سيدة أعمال في سورية وقـد بذلـت جهوداً عظيمة لتشييد المؤسسات الخيرية والمدارس في حلب..




خمسٌ وعشرون

شعر : عبد الله صالح العثيمين

بـــدت لمقلـــته تخـــتال.. فارتســـما
عـــلى محيَّـــاه مـــا أخـــفى ومـــا كـــتما

لـــم يلـــتفت لـــرقيب العمـــر يعذلـــه
ولا بمـــا يقتضـــيه أمـــره الـــتزما

أرخى العـــنان لداعـــي الحـــب مقـــتحماً
ســـيَّان حفَّـــت بـــه الأخطـــار أو ســـلما

هـــوى يصـــرِّفه - رغـــم المشـــيب - كمـــا
يصـــرِّف الـــلهو مـــن لـــم يبـــلغ الحُـــلُما

مولَّـــعٌ بخشـــوف الـــرِّيم مـــا رتعـــت
إلاَّ وهـــام عـــلى آثارهـــا لممـــا

وهـــل لمـــن ســـلبت عفـــراء مهجـــته
فـــي مـــرتع الصَّـــيد ألاَّ يحفـــيَ القدمـــا؟

مـــا كـــنت مـــتَّخذاً ركـــب الهـــوى عضُـــداً
لـــو لـــم يكـــن لفـــؤادي ســـحرها ضـــرما

لـــو لـــم تكـــن تخـــلب الألـــباب طلعـــتُها
طـــرفاً وثغـــراً تـــلذُّ العيـــن مبتســـما

لـــو لـــم تكـــن تتـــباهى رفعـــة وعـــلا
بيـــن الأنـــام وتـــزهو فـــي الـــورى شـــمما

مـــليكة تـــرتدي فـــي يـــوم زينـــتها
ثوبـــاً قشـــيباً بديـــع الـــلون محتشـــما

لهـــا مـــن العمـــر مـــا خطَّـــت صـــحائفه
خمـــسٌ وعشـــرون يـــندى ظـــلُّها كـــرما






خمـــسٌ وعشـــرون مـــا حـــادت مســـيرتها
لـــذروة المجـــد عـــن نهـــجٍ لهـــا رُسِـــما
ســـل الخـــبير عـــن الترشـــيح.. هـــل لـــزمت
غيـــر الحيـــاد؟ وإلاَّ فاســـأل الحكمـــا
خمـــسٌ وعشـــرون مـــا أســـمى رســـالتَها
غـــرَّاء تخـــتار مـــن أرجائهـــا القممـــا
مـــن مشـــرق الشـــمس أو مـــن حيـــثما غـــربت
نـــال الجديـــر بهـــا الإكـــرام واســـتلما
كـــم رائـــدٍ قـــدَّرت مـــنه ريادتَـــه
فقـــدَّرتْ فـــي صـــدى تقديـــره أممـــا
مـــا بيـــن خـــادم إســـلامٍ يميِّـــزه
قـــولٌ وفعـــلٌ هـــمى كـــالغيث نفعهمـــا
وعـــالمٍ فـــاق فـــي دنيـــا تخصُّصـــه
مـــن كـــان فـــي جيلـــه مـــن نخـــبة العـــلما
ومـــبدعٍ زانـــه فكـــرٌ وموهـــبةٌ
فطوَّعـــت يـــده فـــي طرســـه القـــلما
خمـــسٌ وعشـــرون: إنجـــازاً تعهَّـــده
مـــن حـــارب اليـــأس فـــي دنيـــاه والســـأما
أعـــطى الإمـــارة مـــا شـــاءت مطالـــبُها
وراق مـــا خطَّـــه شـــعراً ومـــا رســـما
خمـــسٌ وعشـــرون: أعراســـاً تشـــرِّفها
قيـــادةٌ ذكـــرها فـــي الخـــافقين ســـما
آلـــت عـــلى نفســـها عهـــداً وديدنهـــا
أن يُحفـــظَ العهـــد - مهمـــا كـــان - محـــترماً
هـــذا هـــو الفعـــل: بـــرهاناً تقدِّمـــه
أرضٌ تضـــمُّ ربـــوع الحـــي والحـــرما
إن كـــنت عـــبَّرت عمـــا دار فـــي خـــلدي
فمـــا رميـــت ولكـــن الإلـــه رمى

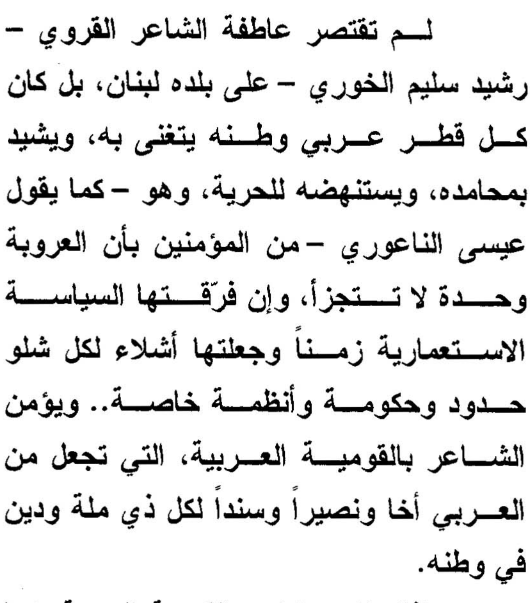



في ذكرى رحيله

الشاعر القروي والقومية

١٨٨٧ - ١٩٨٤

بقلم:
غسان كلّاس



لـم تقتصر عاطفة الشاعر القروي - رشيد سليم الخوري - على بلده لبنان، بل كان كل قطر عربي وطنه يتغنى به، ويشيد بمحامده، ويستنهضه للحرية، وهو - كما يقول عيسى الناعوري - من المؤمنين بأن العروبة وحدة لا تتجزأ، وإن فرّقتها السياسة الاستعمارية زمناً وجعلتها أشلاء لكل شلو حدود وحكومة وأنظمة خاصة.. ويؤمن الشاعر بالقومية العربية، التي تجعل من العربي أخا ونصيراً وسنداً لكل ذي ملة ودين في وطنه.

لذلك لقب بشاعر القومية العربية، كما لقب بالبرازيل، إبان هجرته إليه في العام ١٩١٣ بـ (قروي الجبل) وقد شاعت أشعاره إلى أنها كانت تدرج في برامج الثانويات العربية في أغلب الأقطار العربية.

في عيد الجلاء، جلاء الجنود الأجانب عن سورية في العام ١٩٤٦، يحذر الشاعر من الانخداع بالجلاء الجزئي من بقعة صغيرة من الوطن العربي الكبير، بينما تبقى جيوش الاستعمار منشبة مخالبها في الأجزاء الأخرى:

"لا تُخدعوا برحيله عن جلق، وأخوه عن بغداد لم يترحل" لقد غلبت الحماسة كل شعر القروي - كما تقول الدكتورة عزيزة مريدن - لأنه ما كان ينهض بقادمتيه كما يقول، حتى صكت مسامعه أنّات أمته، ولفحت وجهه زفراتها فقدّم لذلك، واجب تحريضها على التغريد في الخمائل والتنقير في الحقول، وراح يحلّق في ماضي الأمة العربي فيرى أن أجدادنا العرب، بما تحلوا به من شيم رفيعة،

جمعوا فيها الذكاء والوفاء والإباء، استطاعوا أن يقهروا أعداءهم الغربيين ويفتحوا بلادهم، ثم ينشروا فيها أعلام مجدهم وعلمهم وحضارتهم..

ويحل عيد الأضحى في إحدى السنوات، التي تلت استشهاد البطل يوسف العظمة فيستثير معنى هذا العيد في نفس الشاعر معنى التضحية والفداء فينظم قصيدته (عيد الأضحى) ممجداً بطولة شهيد ميسلون:

إن بالعظمة أعلى مثل
للفدى تنشده النفس الأبية
ودّع الغوطة يبغي جنة
غيرها تحت ظلال المشرفية
والتقى النار طروبا للردى
طرب اللاقي على العدم لقية
يا معيداً مجدنا الضائع نم
مستريحاً في ظلال الأبدية
رحمة الله على كل فتى
عربي راح للعرب ضحية

وفي ليلة ٢٥ تشرين أول عام ١٩٤٥ ألقى الشاعر ضمن الحفل الذي أقامه نادي راشيا في سبيل منكوبي سورية قصيدة، ألمح من خلالها بانبثاق فجر جديد بدت بشائره فيما قدمت من ضحايا، واتضح سناه في ليل الخطوب والحوادث:

إني لمحت سناك في غسق الدجى
رغم العصابة والحجاب المسدل
وكواكب الشهداء فيك بشائر
ما آذنت بالفجر لو لم تأفل

وكان الشاعر القروي قد ألقى في بونس آيرس أواخر عام ١٩٣٣ قصيدة قال فيها:

رويداً بني أمي رويداً أحبتي
ويا وطنا سوداء قلبي له فدى
أرى خلف مربد السحاب سحابة
من النور يأبى الله أن تتبددا
يصدها الوادي المقدس فضة
ويعقدها في مفرق الأرز عسجدا
تطوف بها الأرواح من قبر يوسف
إلى قبر جبران سلافاً مبردا

وقد بلغ من حماسة ألوف الحاضرين، خلال إنشادها وبعده أن عقد نائب رئيس الجمهورية الأرجنتينية يده في يد الأقرب إليه، وهذا في يد من يليه حتى تألفت سلسلة من الأيدي بلغ آخرها يد الشاعر على المنبر، وهزوها جميعاً هزة المصافحة والإعجاب..

وكما يقول جورج صيدح: "قلما عرفت العروبة مثله شاعراً أميناً على عزتها وكرامتها ثابتاً على مبادئها" .

ومن يتتبع قصائده الوطنية يقرأ تاريخ النكبات التي حاقت بالأمة العربية منذ الحرب العالمية الأولى، ويشهد سلسلة التجارب التي مر بها الشاعر وهو الذي يعتبر جرح الأمة جرحه وبؤسها وبؤسه.. لقد دوّت صرخاته في سمع الأتراك، وفي سمع الإنكليز، وفي سمع فرنسة، وفي سمع العرب أنفسهم كلما توانوا في الجهاد أو خضعوا الأجنبي أو تاجروا باسم الوطنية..




اليوم عاودها التتار

شعر : نائلة الإمام

اليوم لن نخافَكم
فلتحذروا..
لكم دمٌ كدمائنا وجماجِمُ
أيدٍ تُقطَّعُ مَن خلاف
قد تجرّعونَ بأسرنا مرَّ الألم
قد تُجزرون كمثلِ قطعان الغنمْ
وتُجرُّ جثتكم علىَ وحلِ الطريق
من غيرِ رأسٍ أو قدمْ

* * *

حقاً لكم عينٌ كمثلِ عيوننا قد تدمعُ
ولكم أبٌ متلهفٌ متوجعُ
وأمكم كأمنا بصبرِها تتدرعُ

* * *

قالوا هبطتم أرضنا
من كوكب لا يُقهرُ
جناحُكم منَ "ليزرٍ"
مفكرٌ مدبرُ
قد قالها بالأمسِ لقمانُ العربْ
من لم يوطِّئْكم جبينَهُ
أحمق متهورُ
فنارُكم جهنمٌ
وبغيكم مُقدَّرُ

* * *

وطَوِّفوا ببيتكم
وهلِّلوا وكبروا
وشمروا عقالَهم
وأقبلوا وأدبروا
تضرَّعوا توسَّلوا
تصالحوا تشاجروا
ثم انزَوَوا في وكرِهم
وتسمَّروا

* * *

منْ أينَ نُؤتى؟!!
يا طويلَ العمرِ ما قولٌ يقالْ؟!!
منْ أينَ نؤتى؟!!
يا غريبَ الوجه واليد واللسانْ
يا أيُّها النشميُّ نعطيكَ الأمانْ
منَ أين نؤتى؟!!
أينَ يا سَعْفَ النخيلْ
ويا صَبا نجد
ومَنْ كانَ الدليلُ؟!!
من أين يا شطَّ العربْ؟!!
قد قالت الأعرابُ: آمنَّا
وضاجعتِ الدخيلْ

* * *

ها إنَّها بغدادُ..
لا تُسرجْ إلىِ النخلِ الحنينْ
لا وقتَ للأشواقِ







للعشقِ القديمْ..
بغدادُ قد ألقتْ عصاها
تلقفُ الإفكَ المبينْ
وتحنَّطت للموتِ
يحدوها فتاها
ليتَ للقعقاعِ عيناً
والمثنّى كي تَراها

*　　*　　*

تقحّمي بغدادُ.. لن يأتي الرجالْ
هذي خيولُ الرومِ – عفوكِ –
خلفَ عاصفة الرمالْ
"مخزومُ" باعتْ خيلَها
رهنتْ سيوفَ الفاتحين
وابنُ الوليدْ
ولهانُ يُقرؤك السلامْ
ويَهزُّ أسيافَ الغضبْ
في "عَرْضَة" للحربِ
للحقِّ الهضيمْ
ويناصرُ الفتحَ المبينْ
من ساحة الهجن
ومنْ بُرجِ العربْ *

*　　*　　*

بغدادُ تعرِضُ موكبَ الأُسراءِ
من رومٍ وفرسِ
ومشايخَ العارِ المصفَّى
في عباءات الدمَقْسِ
وخليفةَ الله المعظمَ
بينَ غانيةٍ وكأسِ
سبحانَ من جعلَ البطونَ
رخيصةً من غيرِ رأسِ

*　　*　　*

يا آخرَ الطعناتِ في الجسدِ القتيلْ
بغدادُ يا بغدادُ يا وجعَ الحسينِ
على المدى عبرَ الخطوبْ
يا رعشةَ الصحوِ الأخيرةَ
قبلَ مجزرةِ الغروبْ

*　　*　　*

ها أنت باقيةٌ
وكلُّ الوالغينَ بدمِّك الغالي خبرْ:
.. اليومَ عاودَها التتارُ فخربوا أسوارَها
دكُّوا الحصونْ، وتقاتلَ الطرفانِ
من عربِ المنيَّةِ والدنيَّة، هُدِّمَتْ بيعٌ
قَضى خَلْقٌ كثيرْ
لا لن تكونوا بسِفرها السطرَ الأخير

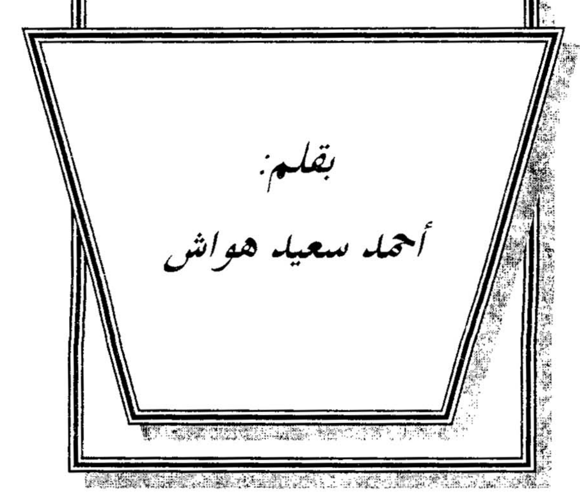
---

* برج العرب: فندق بالغ الفخامة في الخليج.

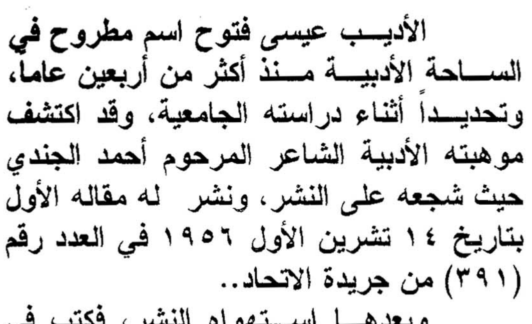



قراءة في كتاب

وجوه مضيئة.. في الأدب العربي الحديث للأديب عيسى فتوح



بقلم:
أحمد سعيد هواش



الأديب عيسى فتوح اسم مطروح في الساحة الأدبية منذ أكثر من أربعين عاماً، وتحديداً أثناء دراسته الجامعية، وقد اكتشف موهبته الأدبية الشاعر المرحوم أحمد الجندي حيث شجعه على النشر، ونشر له مقاله الأول بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٥٦ في العدد رقم (٣٩١) من جريدة الاتحاد..

وبعدها استهواه النشر، فكتب في الدوريات المحلية والعربية مئات المقالات والأبحاث، وقد جمع القليل من هذه المقالات والأبحاث في كتب، ولا يزال الكثير منها متفرقاً في بطون الدوريات، وقد ساعده على ذلك تحصيله الجامعي "شهادة الليسانس" في آداب اللغة العربية وعلومها من كلية الآداب عام ١٩٦٠ في دمشق، ومتابعة دراسته العليا في عام ١٩٦١، إذ نال الدبلوم العامة في التربية من كلية التربية بدمشق، وبالتالي تهيئته ليصبح مدرساً لهذه المادة، التي أحبها، وغذى موهبته بالمطالعة الجادة منذ الدراسة في المرحلة الثانوية وحتى الآن.

ولا بد لهذا النشاط الأدبي المميز أن تكون له نتائج على مستوى التأليف والنشر، فكانت كتبه الثلاثة الأخيرة:

١- شموع في الضباب، الذي صدر عن "دار المنارة" في دمشق وبيروت عام ١٩٩٢، وضم عشرين دراسة عن عدد من الأدباء السوريين.

٢- من أعلام الأدب العربي الحديث، الذي صدر عن "دار الفاضل" بدمشق عام ١٩٩٤، وضم خمساً وثلاثين دراسة عن عدد من الأعلام السوريين والعرب.

٣- أديبات عربيات، الذي صدر عن مطابع الشبيبة بدمشق عام ١٩٩٤، وضم ثلاثاً وثلاثين دراسة عن طائفة من الأديبات العربيات، وصدر الجزء الثاني منه عن دار طلاس ٢٠٠٢، بالإضافة لكتاب نقدي: دراسات في الأدب والنقد، الذي صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٩١.

وفي ربيع هذا العام صدر كتابه هذا الذي نحن بصدده، وهو الرابع من سلسلة كتبه الثلاثة السابقة، وضم سبعة وأربعين كاتباً وأديباً وشاعراً، سورياً وعربياً ينتمون إلى مختلف الأقطار العربية والمهاجر الأمريكية، وبذلك يصل مجموع الأعلام الذين درسهم في هذه الكتب إلى مئة واثنين، بينهم الشاعر، والناقد والكاتب، والباحث، والمؤرخ، واللغوي، والمعجمي، والموسوعي، والمسرحي، والمفكر، والصحفي، والأستاذ الجامعي.. وقد أدى كل واحد منهم دوره في بعث نهضتنا الأدبية والفكرية على أكمل وجه، منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين.

وبذلك يعتبر الأديب عيسى فتوح قد ساهم بمشروع موسوعة لأعلام العرب في العصر الحديث بأسلوب أدبي مميز ودراسة وافية عنهم تطفئ غليل القارئ العربي المتعطش لمعرفة هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين خدموا أمتهم العربية كل ضمن مجاله على مساحة الوطن العربي.

افتتح الباحث عيسى فتوح كتابه "وجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث" بالأديب فرنسيس مراش رائد الحرية والديمقراطية في القرن التاسع عشر (١٨٣٦ - ١٨٧٣) وهو من أسرة مراش الحلبية، التي اشتهر منها أكثر من واحد أمثال بطرس مراش وفتح الله مراش، وأولاده الثلاثة عبد الله (١٨٣٩- ١٩٠٠) وفرنسيس مراش ومريانا (١٨٤٩- ١٩١٩) وكان أشهر هؤلاء الأديب والشاعر والمفكر فرنسيس الذي كان رائداً من رواد العلم والطب والفلسفة والأدب والحرية والديمقراطية، في زمن طغى فيه التعدي والظلم، والقهر وكبت الحريات والظلام كما يقول المؤلف.. ومن ثم يأتي على دراسة حياة المترجم منذ ولادته، ومراحل تعليمه، وانتاجه الفكري، بالإضافة لاكتسابه العلوم الطبية التي درسها عام ١٨٦٦ في باريس، ولكنه لم يكملها حيث أصيب بشلل في أعصاب بصره حال بينه وبين أداء الامتحان لنيل الدكتوراه في الطب، فعاد إلى حلب وهو فاقد البصر كلياً.

وقد عدد المؤلف آثاره الأدبية، حيث كان شاعراً موهوباً فترك لنا:

ديوان مرآة الحسناء، طبع في بيروت عام ١٨٨٣ بعناية سليم بطرس البستاني، والكنوز الغنية في الرموز الميمونية، وهي قصيدة رائعة تقع في خمس مئة بيت، ضمنها خيالات شعرية رمزية. بالإضافة لبقية إصداراته في مختلف الفنون الأدبية، وقد بلغت عشرة أعمال: ضمنها بعض الأعمال العلمية، فقد كانت النزعة العلمية هي الغالبة على كتاباته كما يقول المؤلف، وأعترف بأني لسنين قليلة مضت كنت أجهل العالم اللغوي أنيس سلوم، أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق (١٨٦٢- ١٩٣١) وفوجئت بمواهبه المتعددة، وقد ذكر الأديب عيسى فتوح بعض صفاته الشخصية والأدبية فقال:

"كان أنيس سلوم خطيباً مفوهاً، فصيح اللسان، جهوري الصوت، فياض القريحة، امتلك ناصية البيان.. وكان يتدفق كالسيل، ويتمتع بقدرة فائقة على الارتجال إلا أنه كان قليل العناية بجمع آثاره، ولو جمعت قصائده وعظاته لبلغت عدة مجلدات".

كان العلاّمة أنيس سلوم شاعراً، لكنه لم يجمع شعره في ديوان في حياته، حتى قام شاكر الدبس عام ١٩٣٤ بنشر كتاب أسماه "ذكرى أنيس سلوم" تضمن سيرته الذاتية، وما قيل في الحفلة التكريمية التي أقيمت له عام ١٩٣٠ وحفلتي التأبين في دمشق وحماة، بالإضافة إلى آثاره الشعرية والنثرية..

بقي أن نعرف أن هذا العالم اللغوي وُلدَ في حمص، وانتقل والده مع عائلته إلى حماة ليؤسس الكنيسة الإنجيلية فيها..

وقد كتب الأديب عيسى فتوح في كتابه "وجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث" عن الشاعر المصري الراحل أمل دنقل الذي عرف بمقاومته للصلح مع إسرائيل، وله قصائد كثيرة بهذا الموضوع، وتمنيت لو أن صاحب

الكتاب ذكر بعضاً من أشعار هذا الشاعر المناضل الذي قضى نحبه مبكراً (١٩٤٠- ١٩٨٣). وقد جاء في التعريف بأمل دنقل:

"شاعر وصحفي، وفنان تشكيلي، وكاتب مصري، وعضو اتحاد الكتاب وجميعة الأدباء والفنانين التشكيليين، وعضو المجلس الأعلى للثقافة في مصر. وهو من مواليد قرية "القلعة" التابعة للأقصر في صعيد مصر، وكان والده من علماء الأزهر، ومدرساً للغة العربية، ينظم الشعر في المناسبات الدينية، وفي الإخوانيات، لكنه مات عام ١٩٥٠، تاركاً لابنه مكتبته اللغوية، فعكف على قراءتها، والتهام ما حوته من كنوز أدبية" .

وقد كان الأديب عيسى فتوح وفياً لأستاذه الدكتور صبحي الصالح، الذي اغتالته يد آثمة في لبنان في تشرين الأول عام ١٩٨٦ فيقول:

"إنني أشعر بتأنيب الضمير، لأنني لم أقمْ بواجبي نحو هذا الإنسان الذي كانت له أياد بيضاء عليَّ، وعلى العديد من زملائي في كلية الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٥٩"

يقول المؤلف "كان صبحي الصالح إذا تحدث أو ألقى درساً يتدفق كالسيل، فهو بحر زاخر من العلم والمعرفة والنباهة والألمعية والذكاء، يغرف من ذاكرته الحية التي اختزنت تاريخ الأدب قديمه وحديثه وأحاطت بالأدبين العربي والفرنسي على حد سواء. كان صوته العذب كأنه موسيقى إذا جوّد آية أو ألقى بيتاً من الشعر الجميل.."

والمرحوم الدكتور صبحي الصالح من مواليد طرابلس (لبنان) عام ١٩٢٦، تلقى تعليمه في دار التربية والتعليم الإسلامية، وأخذ يرتقي المنابر ويخطب أيام الجمعة ويدرّس في المساجد. وكان محط إعجاب الناس لفصاحته وسمو بيانه وجمال نطقه، كما يقول تلميذه النجيب عنه..

أكمل الدكتور صبحي دراسته في الأزهر الشريف ونال الشهادة العالمية ١٩٤٩، كما انتسب إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة وحصل على الليسانس في الأدب العربي بدرجة امتياز عام ١٩٥٠ ونال الدكتوراه من السوربون في باريس في الآداب العربية.

وقد أورد الأديب عيسى فتوح صفحات عن سيرة المربي الشاعر حنا الطيار الذي تخرجت على يديه نخبة من المثقفين المحبين لأمتهم العربية وتاريخها المجيد..

كيف لا وهم الذين رضعوا لبان العروبة من معلم عربي. أحبَّ العربية والعرب، وعمل على حب الوحدة العربية والجهاد في سبيلها، وتغنى بأمجادها في الأندلس. فقال مخاطباً "الحمراء" في قصيدته "وقفة على الحمراء في إسبانيا":

حمراءُ من ليّن الأحجارَ فانقلبتْ
تحت الأصابع آيات من العجب
حمراءُ من أنطق الازميلَ نمنمةً
ونضَّرَ الوشيَ فوق الصخر والخشب
هذي النقوش سجاجيد معلقةٌ
تكاد تضحك في أثوابها القشب

أما عن شعره فتكلم الأديب عيسى فتوح فقال:

"يمتاز شعر حنَّا الطيار بالمتانة وقوة السبك، مثلما يمتاز بالسلاسة والعفوية، ووضوح المعاني، وعذوبة الألفاظ، وسمو الخيال وروعة الصور.."

وقد ضم كتاب "وجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث" ترجمة وافية عن حياة الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي (١٩٠٨- ١٩٩٩) وذكر مؤلفاته الكثيرة والمتعددة المواضيع وإن أي تجزئة لهذه السيرة يفقد القارئ حرارة التشوق، لذا فإني أدعو القراء الكرام إلى قراءتها في كتابه "وجوه مضيئة في الأدب العربي الحديث" للأديب عيسى فتوح الذي ضم بين دفتيه، تراجم لسبعة وأربعين علماً عربياً ومستشرقاً بأسلوب جميل وعبارات رصينة ومعبرة لكاتب عُرِفَ بثقافته المتنوعة والواسعة والموسوعية..




موعد ...

شعر : حامد حسن

مـــن عـــناد الـــدل فـــي جفـــنيك، مـــن لفـــت أزورارِ
مـــن شـــموخ الـــناهدِ، المـــرتجّ فـــي الصـــدر المـــثارِ
مـــن بحيـــح الـــناي.. مـــن طهـــر أهـــازيج الصـــغار
مـــن شـــعاعٍ غـــنجِ الـــرفة فـــي ثغـــر الـــنهارِ
يمســـــحُ الأورادَ إلاَّ مـــــن نـــــثارٍ، ونـــــثارِ
أنـــا مـــن عيـــنيك فـــي دنيـــا اخضـــلالٍ، واخضـــرارِ
فاســـمعي صـــوتَ احـــتراق الصـــبر فـــي نـــارِ انـــتظاري

* * *

أنـــا دنيـــا مـــن وراء الغيـــب، عـــذراء الســـتار
الضـــحى، والحـــب، فـــي دربـــي إليهـــا.. والـــدراري
يتطيـــبن.. يغســـلن ســـناهن بعـــاري
تمـــرغُ الصـــحراء إن رفـــت بهـــا أنـــداءُ نـــاري

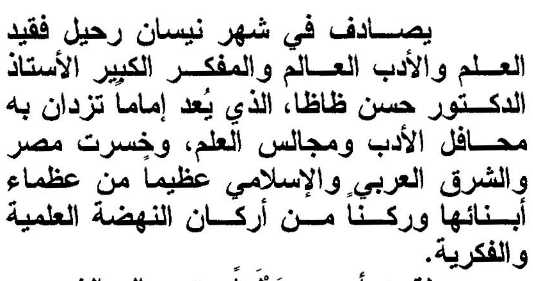
* * *

فـــإذا مـــا لـــجَ بـــي شـــوق إلى أهـــلي، وداري
وتفـــلت انفـــلاتَ الطيـــب مـــن كـــمّ الـــبهارِ
وإذا مـــا انحـــطّ كـــبرُ الدهـــر عـــن زهـــو انتصـــاري
ســـوف ألقـــاك، وراء الغيـــب.. خـــلف الانـــتظارِ




ذكرى الدكتور الراحل حسن ظاظا شاعراً أديباً مفكراً.. (١٩١٩-١٩٩٩)

بقلم:
أ. ضياء الدين ظاظا



يصادف في شهر نيسان رحيل فقيد العلم والأدب العالم والمفكر الكبير الأستاذ الدكتور حسن ظاظا، الذي يُعد إماماً تزدان به محافل الأدب ومجالس العلم، وخسرت مصر والشرق العربي والإسلامي عظيماً من عظماء أبنائها وركناً من أركان النهضة العلمية والفكرية.

لقد أصبح مَعْلَماً من معالم الشعوب، وحاربت أحاديثه جيش الجهل، وارتفعت مكانته فازدادت بين الناس شهرة ومعرفة، وكان رحمه الله معروفاً للناس جميعا بعلمه الغزير وعقله الكبير وحبه لمعاضدة النهضة العلمية، يؤم رحابه العلماء ورجال الفكر من جميع البقاع، فزيّنت مآثره وجلائل أعماله مكتبات العالم.

لقد اعتمد الراحل على نفسه، يعمل كالنحلة في دءوبها ونظامها، لا يصرفه عن غايته صارف، ولا يقف في سبيله حاجز، ونفع الناس بثمار ثقافته واطلاعه الواسع، لا سيما المؤلفين. لقد لعبت الصدفة التعرف على الراحل الدكتور حسن ظاظا الذي كانت تربطني به صداقة حميمة وقرابة نسب وأن أطّلعَ على كتبه القديمة التي أتحف المكتبة العربية بها، ولمست من خلالها تطلعاته نحو موضوعات هامة تفيد القارئ العربي وغيره، سواء المختص أو ممن له اهتمامات فكرية أو أدبية وتاريخية.

اشتهر الدكتور حسن بقرضه الشعر منذ كان في كلية الآداب (جامعة القاهرة) وكانت له جلسات مع الشعراء عزيز أباظة، ونزار قباني، وفاروق شوشة، ومع كوكب الشرق السيدة أم كلثوم وغيرهم.

وعندما كان أستاذاً في جامعة الإسكندرية وقع عليه الاختيار ليكون عضواً في المجلس الأعلى للفنون والآداب، إلا أن الأعضاء أصروا على أن يكون في لجنة الشعر وليس في لجنة اللغة العربية التي هي من اختصاصه، وبقي عضواً فيها حتى سفره إلى السعودية، حيث بدأ في عمل شعري طويل يضم مجموعة من الأناشيد وكل نشيد فيه نحو خمسمائة بيت من الشعر العمودي وشعر التفعيلة، وكتب نحو ثمانية عشر نشيداً، وعنوان هذه الأناشيد هو: (سيرة البهلول).

والبهلول مصري كان يدَّعي الجنون ويعيش في عصر هارون الرشيد في الكوفة بعد قدومه من مصر، ومن قصائده التي ألقاها في يافا عام ١٩٤٤م كانت عن الأندلس، والشاعر ابن زيدون إذ كان يرى في فلسطين صورة من ضياع الأندلس بسبب ما وجدٍ فيها من نفوذ صهيوني، وله أزجال كثيرة جداً، كان الشاعر بيرم التونسي معجباً بها حتى أن محافظة الاسكندرية في العام الأول لوفاة بيرم دعته وجعلته المتحدث الأول في الحفل - كما يقول الدكتور حسن - لسرد بعض ذكرياته معه، ثم أتبع ذلك بزجل يرثيه فيها، وكانت هناك من مهرجانات مشتركة مع زجّالي القاهرة.

بدأ الدكتور حسن بقرض الشعر وهو في سن الثانية عشرة، وكانت قصائده تنشر في مجلة الصباح التي كان يملكها الأديب والصحفي مصطفى القشاشي وهي من أكبر المجلات الثقافية في القاهرة (في العشرينات والثلاثينيات) وكان مما أعانه على ذلك أن أمير الشعراء أحمد شوقي كان صديقاً لجده (لأمه) فأخذه إليه في أحد الأيام - وهو في المرض الأخير - وأهداه الجزء الأول من الشوقيات.

لقد طرح الراحل الكبير رداء الشباب (منذ الأربعينيات كما علمت منه) وأكبَّ على كتب الأوائل وما فيها من عذب القول وسحر البيان واتخذ منها صديقاً يؤنسه وخليلا يسليه، فقرأ تاريخ الشعوب وأنباء الأمم ولغاتهم ثم روى بذلك غلّة النفس الضادية وأحيا بما استجلاه من عبر الفناء وعظات السابقين، وجمع بين العقلين الآري والعربي فأفاد من الأولى الدقة والتمحيص، ومن الثاني السهولة والوضوح، كما أنه تعلم من الشرق والغرب فكانت آثاره العلمية وجهوده الثقافية الكبيرة صلة وصل ربطت الشرق بالغرب في مضماري العلم والأدب.

إن معرفته باللغات الأجنبية (وخاصة عبقريته الفذّة باللغة العبرية) لم يكد ينأى به عن لغته الأم (العربية) وكان نهمه للمعرفة وطموحه يحفزُهُ للاطلاع على كل ما يقوي ثقافته الواسعة في مختلف اللغات، فكتابه (الفكر الديني اليهودي) كان حصيلة سبع سنوات من التدريس في المادة، كان قد درَّسها في المعهد العالي للدراسات العربية التابعةِ لجامعة الدول العربية، والكتاب يناقش ويفند مزاعم اليهود بأنهم شعب الله المختار، حيث ينكرون أنهم كانوا عبدة أصنام في جاهليتهم، وإنما كانوا يعبدون الله دون المرور بهذه الفترة من الجاهلية، وقد بيَّنَ الدكتور الراحل بطلان مزاعمهم بأدلة وشواهد من كتبهم المقدسة كالتوراة وغيرها.

كما أن اليهود أخذوا التراث العربي في الأندلس وادَّعوه لأنفسهم، كفنِّ الموشحات والسُّلم الموسيقي العربي.

لقد بدأت تجربة الدكتور حسن مع اللغة العبرية بالتوراة أثناء دراسته في جامعة القاهرة على طائفة من المستشرقين، وعند تخرُّجه عُيِّنَ معيداً للغة العبرية فيها، مع أن دراسته في الأساس كانت اللغة العربية والأدب العربي والشعر العربي، ولكن عندما أنشئ فرع جديد في جامعة القاهرة لدراسة اللغات الشرقية اختير ليكون أول مبعوث إلى الجامعة العبرية في فلسطين وهي تحت الانتداب البريطاني - وذلك لعدم توفر مختصين في اللغة العبرية - واعتبر ذلك حدثاً كبيراً لطالب عربي مسلم يأتي للدراسات العليا في قسم الأدب العبري واللغات السامية عام ١٩٤٢م، إلا أن وزارة المعارف المصرية (آن ذاك) أشارت عليه بعدم متابعة الدراسة في فلسطين، واقترح عميد كلية الآداب الدكتور طه حسين إرساله إلى باريس، وسافر الدكتور حسن إلى فرنسا حيث حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في الأدب العبري عام ١٩٤٤م.

تناول الراحل في كتاباته مواضيع كثيرة منها دراسة العهد القديم والعهد الجديد وبروتوكولات حكماء صهيون وقضايا التعليم والتعريب والأعلام والتكوين الفكري للشباب وعن القسم عند الساميين القدماء (حمورابي - الآشوريين) وتعرض من خلال كتاباته لكثير من الهجوم من الإعلام الإسرائيلي بسبب ما كان يكتبه، خاصة عندما كان يقدم برنامجاً يومياً - كانت تبثه إذاعة الشرق الأوسط المصرية - بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧م بعنوان: (من قلب إسرائيل).

ومن آرائه أنه من أهم ضوابط الحوار الثقافي بين الحضارات، الاحتراس من الغزو الفكري والثقافي، فالاتصال بالأمم واللغات المختلفة فواجب، وإن تطعيم الثقافة ما يزال مسألة فردية، ويجب أن تكون هناك سياسة ربط الأمة بالتيارات الثقافية المختلفة، وأن يخطط لهذا الموضوع تخطيطاً جيداً بحيث لا يطغى عليه الحكم الفردي لكل من قرأ كتاباً أو قصة أو قصيدة أو رواية، كما يحدث في مناهج التعليم.

درّس الدكتور حسن في جامعات مصر والعراق والمغرب والسودان وفرنسا ومالطا ولبنان وأخيراً في السعودية، وحضر مؤتمرات كثيرة، فقد مثّل جامعة الدول العربية في الأسبوع العربي الإسلامي في طوكيو، وليبيا، وإيران، تحدّث فيها عن القضية الفلسطينية، كما نادى بتعريب العلوم تعريباً دقيقاً لأنّ اللغة العربية قادرة على استيعاب كافة العلوم كما استوعبتها في الماضي.

لقد حمل الراحل على تقدم سنه – في أواخر أيامه – قلب شاب يبتسم للدنيا وتبتسم له، وكان له إلى جانب ذلك من العقل والجد وأصالة الرأي ما يملأ الزمان وقاراً، وكان يرى أن الغرب يحاول تشويه الصورة الحقيقية للإسلام وربطه بالتخلف الذي تعيشه الأمم الإسلامية لأهداف لا تخفى على أحد، أهمها محاولة السيطرة على هذه الأمم بحجة أنها لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها، فهو يؤمن بالمستقبل وبأننا نسير دائماً إلى الأمام، وأن أي تراجعات تحدث لنا ما هي إلا كبوات مؤقتة سيتم التغلب عليها.

إن القارئ الحصيف من خلال قراءته لمؤلفات الدكتور الراحل حسن ظاظا تتجلى له قوة إيمانه التي تملأ نتاجه الفكري.

رحمك الله يا أبا مالك، فقد كنت مربياً فاضلاً، وأباً رحيماً، وصديقاً ودوداً، ومفكراً بعيد الغور، وإن اسمك ومؤلفاتك ستبقى نبراساً وقدوة للأجيال القادمة.

الأستاذ الدكتور حسن ظاظا في سطور

- من مواليد القاهرة عام ١٩١٩م.
- ليسانس اللغة العربية واللغات السامية، جامعة القاهرة عام ١٩٤١.
- ماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي عام ١٩٤٤ وعنوان الرسالة: (أثر الفكر الإسلامي في الفكر العبري في إسبانيا الإسلامية)
- دبلوم الدولة العالي في الآثار وتاريخ الفن والحضارة، مدرسة اللوفر بباريس ١٩٥١م.
- دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس عام ١٩٥٥م.
- دكتوراه الدولة في الآداب جامعة السوربون فرنسا عام ١٩٥٨ وعنوان الرسالة (القسَمْ عند اليهود الساميين القدماء)
- عمل معيداً ومحاضراً ومدرّساً بجامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٩.
- درّس في جامعات عين شمس والقاهرة والأزهر ومعهد الدراسات السامية (مصر) ومحمد الخامس (المغرب) وبيروت (لبنان) الموصل وبغداد والبصرة (العراق) والخرطوم وأم درمان (السودان) ومدير مؤسس لمعهد اللغات الشرقية والحضارة العربية الإسلامية في جامعة مالطة.
- أستاذ فقه اللغة والدراسات العبرية بجامعة الملك سعود مدة ١٢ عاماً.
- توفي في شهر نيسان ١٩٩٩.
- صدرت له عشرة كتب في الآداب العربية وفي اللغات السامية والفكر اليهودي

١- الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه) ١٩٩٥.
٢- الشخصية الإسرائيلية ١٩٩٠ .
٣- أبحاث في الفكر اليهودي ١٩٨٧.
٤- اللسان والإنسان ١٩٩٠.
٥- كلام العرب (من قضايا اللغة العربية) ١٩٩٠.
٦- الساميون ولغاتهم (تعريف القرابات اللغوية والحضارية عند العرب) ١٩٩٠
٧- إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان بين المسلمين ١٩٩٧.
٨- الفكر اليهودي (تيارات وعواصف) ١٩٩٠ (قيد الطباعة)
٩- الكشكول ١٩٩٠ (قيد الطباعة).
١٠- الكنز المرصود في قواعد علم التلمود ١٩٩٠ .




هذا أوان الحب

شعر : سعيد قندقجي

أنـــا عاشـــق لـــك عاشـــق وأنـــا لديـــك مـــراهق
لـــن تمنعيـــني أن أكـــون كمـــا يشـــاء الخـــالق
أنـــا قـــد ولـــدت وفـــي ضـــلوعي مـــن هـــواي حـــرائق
تمضـــي الســـنون وخـــافقي بيـــن النـــدامى.. الســـابق
كونـــي الصـــدود فإنـــني أنـــا مـــن وصـــالك واثـــق
وتقلـــبي، فالشـــوق يعـــلم أن حـــبك.. صـــادق
مـــن أنـــت؟.. مـــا الحســـن النـــدي؟ ومـــا لحســـنك عاشـــق..
وغـــدا إذا انطفـــأ الصـــبا الوضـــاء وهـــو البـــارق
فستســـألين اليـــأس عـــنك ومـــا ليأســـك.. طـــارق
وســـتندمين وأنـــت صـــامتة وقلـــبك نـــاطق
هـــذا أوان الحـــب فانطـــلقي وروضـــك عـــابق
وتمـــردي فالعمـــر لـــولا أن نحـــب مـــزالق
يـــنمو الـــربيع وفيـــه مـــن فـــرح الســـحاب صـــواعق
لـــو كـــان لـــي مـــا عـــاق أجـــنحة البشـــائر عـــائق
أهـــواك مشـــرقة الجمـــال ولـــلجمال.. شـــارق
لا أســـتقر وخـــافقي فـــي الحـــب ذاك الخـــافق
لـــو أن ســـاحة كونـــنا للعاشـــقين.. حدائـــق
لتفـــتحت خـــلف الظـــلام أزاهـــر.. وزنـــابق
وتـــألقت فـــوق الرواســـي.. للســـلام بيـــارق
هـــذا نـــداء الأبـــرياء وباســـمه نـــتعانق